جامعة عمار ثلـيجـي بـــالأغـواط

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قـسم العـــلوم الإنـسانية

الميدان : العلوم الإنسانية والاجتماعية

الموضوع :

دور المجامع الدينية في تاريخ العقيدة المسيحية

مذكرة مكملة لنـيل شهادة الماستر أكاديمي في التاريخ

تخصص : تاريخ الحضارات القديمة

إعداد الطلبة :

- صلاح الدين مايدي
- عماد الدين غـريس

إشراف الأستاذ :

أ. طارق مريقي

السنة الجامعية : 2014– 2015 م

جامعة عمار ثلـيجـي بـــالأغـواط

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قـسم العـــلوم الإنـسانية

الميدان : العلوم الإنسانية والاجتماعية

الموضوع :

دور المجامع الدينية في تاريخ العقيدة المسيحية

مذكرة مكملة لنـيل شهادة الماستر أكاديمي في التاريخ

تخصص : تاريخ الحضارات القديمة

إعداد الطلبة :

- صلاح الدين مايدي
- عماد الدين غـريس

إشراف الأستاذ :

أ. طارق مريقي

السنة الجامعية : 2014– 2015 م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ

ومماتي لله رب العالمين لا شريك له

وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ﴾

صدق الله العظيم

كلمة شكر

بعد شكر المولى عز وجل على فضله ومنّه ، لا يسعنا إلا أن نجزل صادقين عبارات الشكر والتقدير إلى الأستاذ المشرف طارق مريقي الذي رعى هذا البحث وأشرف على مراحل إنجازه توجيها وتقويما وتشجيعا .

فـإليه نتوجه بخالص الشكر والعرفان .....

والله نسأل أن ينفعنا بهذا العمل المتواضع وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم .

إهداء

إن الحمد لله، نحمده و نستعينه و نستغفره، و نعوذ بالله من شرور أنفسنا و سيئات أعمالنا،

من يهده الله فلا مضل له، و من يضلل فلا هادي له،

و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له،

و أشهد أن محمدا عبده و رسوله

أما بعد:

أهدي ثمرة جهدي إلى:

من قال فيهم الله عز وجل: ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه و بالوالدين إحسانا﴾

إلى الشجرة التي لا ينحصر لها ظلال، والأمر، و أصلها ثابت و فروعها في السماء إلى

مدرسة كل المدارس إلى ينبوع الحب و الحنان إليك يا "أماه"،

إلى الذي جاهد من أجلنا و حرم نفسه أشياء كثيرة، و أفنى عمره في تربيتنا والدي العزيز علي أطال الله

في عمره و أمده بالصحة و العافية.

إلى كل إخوتي و أخواتي و كل العائلة و إلى زملاء الدراسة

عماد الدين

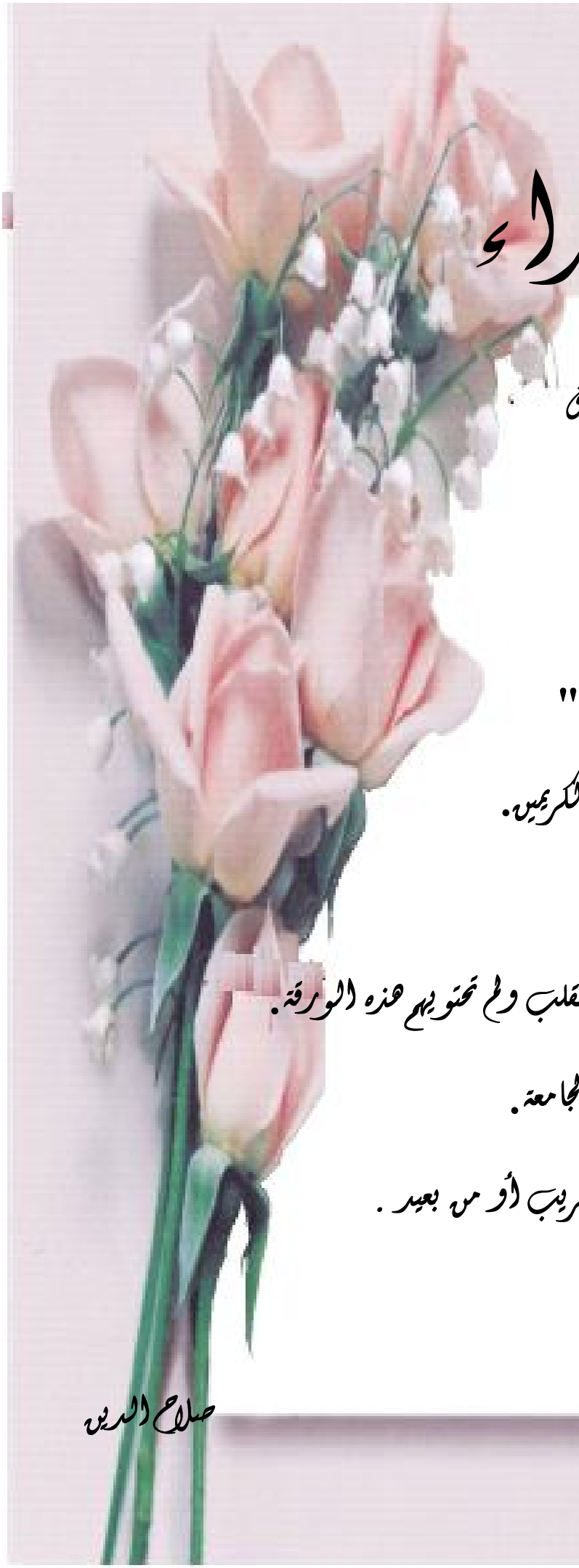

إهداء

بلسان قائل ، وقلم سائل وقلب صادق

أنحني إلى من أكرمني بنعمة العقل

ووهبني طريق الهداية وأفاض علي

سبل الخير والرحمة " الله جل وعلا. "

إلى أغلى الناس في الوجود والدي الكريمين.

إلى إخوتي وأخواتي.

إلى جميع الأصدقاء الذين احتواهم القلب ولم تحتويهم هذه الورقة.

إلى جميع الأساتذة من الابتدائية إلى الجامعة.

إلى كل من قدم لي يد المساعدة من قريب أو من بعيد .

إليهم جميعا أهدي هذا العمل .....

صلاح الدين

مقـــدمة

تهتم الدراسات التاريخية الحديثة بموضوع الدين الذي تحول إلى حلقة بحث ودراسة بشكل مستقل عن التخصصات العلمية بعد أن كان مدمجا ضمن المعارف الأخرى ، هذا ما مكّن تلك الدراسات إلى جانب الدراسات اللاهوتية أن تعرف تقدما نوعيا و التي تهتم بالظاهرة الدينية ، والتوجه بها نحو رؤية علمية أكثر رصانة بعيدا عن البني الفكرية القديمة التي غلب عليها السذاجة والخرافة والعاطفة في وصف الدين وتحليل مضامينه أو أداء طقوسه وغير ذلك ، هذا يبرز مدى أهمية هذا التوجه وأهمية النتائج التي توصل إليها أيضا، الأمر الذي نحاول إبراز جوانب منه من خلال هذا البحث .

النزاعات التي عرفتها أوربا المسيحية مع الدين و رجاله ومؤسساته ، كانت من أهم عوامل الأزمة المسيحية الروحية و اللاهوتية، أدت إلى إفراز وضع ديني مترد، أصبح متعارفا وصفه سببا مباشرا في وسم الحضارة الغربية بالعلمانية والمادية والإلحاد أيضا ، لكن من جهة أخرى ، الإحساس والوعي بأزمة دينية مسيحية قاد إلى بذل مجهودات عديدة، تولدت عنها علوم جديدة في أوربا والعالم بأسره سلطت لدراسة المسيحية بصفة خاصة وبقية الأديان بصفة عامة ، حيث ظهرت تخصصات تدرس الدين من كل النواحي :أصل الدين التوحيد أو التعدد وأصل الطقوس و المشترك والمختلف فيه بين الأديان السماوية من نبوة ومعجزات وشرائع ، وبديهي أن مثل هذه الدراسات تنطلق من خلفيات ورؤى ومناهج ومدارس مختلفة، حيث نجد الدارس المؤمن بمسيحيته وبعيسى المخـّلص وبالوحي، كما نجد الدارس الذي يرفض كل الموروث، ويؤمن بإله كما يحب هو أن يؤمن به ويراه كذلك نجد الملحد الرافض للدين جملة وتفصيلا باعتباره أسطورة وخرافة نجمت عن الضعف الإنساني، وهناك من يعتبر الدين ضرورة اجتماعية أخلاقية رافقت كل المجتمعات البدائية والمتحضرة على السواء ، ولو أمعنا النظر في تاريخ العقيدة المسيحية لوجدنا أنها مرت بكل ما ذكرناه سلفا،فقد عانى المسيحيون فترة طويلة من

اضطهاد الرومان ، قتل خلالها عدد كبير من المسيحيين ، حتى جاء الإمبراطور قسطنطين الذي آمن بالسيد المسيح ، وأصدر بعد ذلك منشور التسامح الديني عام 313م،فتوقف "الاضطهاد العام"ضد المسيحيين .

وبعد أن أخذ المسيحيون حريتهم في العبادة والتعبير، بدأت تنتشر بعض التعاليم الجديدة ، شكلت خطرا على تعاليم آبائهم وقِّديسيهم من بعدهم ، عقدت على إثرها العديد من المجامع أو الاجتماعات تركت تاريخ العقيدة المسيحية يعيش تخبطا في تحديد معالمه ، إذ ضمت تلك المجامع قادة الكنيسة من مختلف أنحاء العالم للبحث في أمور الكنيسة وخاصة للبت في القضايا العقائدية على ضوء تعاليم الكتاب المقدس "الدستور الوحيد للإيمان والحياة" .

لم تكن جميع المجامع التي عقدت في تاريخ الكنيسة مجامع مسكونية أي بمعنى عالمية ، بل عقدت أيضاً مجامع إقليمية حيث كانت الكنائس في إقليم ما تبحث في قضايا مشتركة ، وكذلك كانت هناك أيضاً مجامع وطنية أي ضمن البلد الواحد وكانت تشمل عدة أقاليم وكان لها تأثير معين في الوطن ، وهو ما سنهتم فيه في دراستنا لتاريخ العقيدة المسيحية، إذ تجمع الدراسات أنه ما من دور أدى إلى توطيد ملامح العقيدة المسيحية الحالية كما هي اليوم كالدور الذي لعبته المجامع المسكونية التي انعقدت مع مر الزمن ، ما جعلها ومازالت تتعرض إلى عملية نقد صارمة ، نقد مباشر والذي سلط على" النص المقدس" ، أي على العهدين القديم والجديد ، لكشف حقيقة هذا الكتاب ،لذلك يتبلور إلى أذهاننا الإشكال التالي :**أتعدُ النواة الأولى للعقيدة المسيحية فعلا عن كلمة الرٌب أو الوحي الإلهي!؟. أم أن الأيدي البشرية تلاعبت بها وحرفتها ، و أنها إنتاج بشري خالص كما يجمع الكثير** ؟ ويمكننا أن نصوغ في سياق هذا الإشكال جملة من الأسئلة :

1. ما هو دور الذي لعبته المجامع المسكونية في العقيدة المسيحية ؟

2. كيف نشأت المسيحية و انتشرت ؟

3. ما مفهوم المجامع الدينية وما أنواعها ؟

4. وما هي التأثيرات الخارجية على العقيدة المسيحية ؟

5. وما أهم طوائف المسيحية وفرقها ؟

وكثيرا ما نجد الدراسات التاريخية تتحدث عن المسيحية ونادرا ما نجدها تحدث عن الدور الذي لعبته المجامع المسكونية ، وكيف أثرت في العقيدة المسيحية ، وهو أحد دواعي اختيارنا للموضوع إذ نود تسليط الضوء عن تلك المجامع وما أفرزته من قرارات وتعاليم وصلت تداعياتها إلى اليوم .

الهدف من الدراسة :

تهدف هذه الدراسة إلى التعريف بالمجامع المسكونية ومدى تأثيرها على العقيدة المسيحية ، حيث أضفت المجامع المسكونية على وجودها نوع من الأحقية في التشريع الديني بما لا يوجد به ولا له ولا فيه نص واحد من نصوص الأناجيل ، بل إن الرسائل التي تعتبر المصدر الوحيد للطقوس ، لم يعترف بها إلا في بدء القرن الرابع الميلادي ، وما قبله من الزمن فهي إما مجهولة ، أو غير معترف بصحتها .

وأيضا تحديد الفاعلين والقائلين والمتمذهبين بهذه المجامع ، وأدلتهم ومراجعهم الدينية ، أو التاريخية .

الإطار الزماني والمكاني : وجب تحديد مجالها الزماني والمكاني للدراسات التاريخية العلمية الجادة والهادفة ، ومن ثمة فإن الإطار الزماني لهذه الدراسة يبدأ من القرن الأول إلى القرن الرابع ، وأما فيما يخص الإطار المكاني فقد تعددت جغرافية المجامع وكان معظمها في أسيا الصغرى .

المنهج المتبع في هذه الدراسة :

إن المنهج عامل أساسي وجوهري في الدراسات التاريخية ، وما دام أننا نطرق موضوعا تاريخيا لاهوتيا ، فقد اعتمدنا المنهج الوصفي يتخلله بعض التحليل ما يلاءم الدراسات من هذا القبيل لتحليل الوقائع والأحداث تحليل علمي تاريخي ، موضوعي قدر الإمكان .

الخطة المعتمدة :لقد عالجنا موضوع هذه الدراسة في أربعة فصول ، فصل تمهيدي ، وثلاث فصول أخرى و جاءت على الشكل التالي : **الفصل التمهيدي** والذي تطرقنا فيه إلى نـشأة المسيحية وانـتشارها والتي شهدت حسب ما وصل إلينا من معلومات عقبات كثيرة وصولا إلى أهم حدث تاريخي وهو اعتراف الإمبراطورية الرومانية بالمسيحية وفق مرسوم ميلان الشهير بالإضافة إلى انتصار المسيحية وزيادة نفوذها في أركان الإمبراطورية الرومانية .

أما في **الفصل الأول** فقد تناولنا فيه مفهوم المجامع الدينية وأبرزها و دور كل مجمع والشخصيات التي شاركت وأثرت في قرارات المجامع بدءاً بمجمع نـــيقية وصولا إلى مجمع خلقدونيا وتأثير قرارات المجامع على العقيدة المسيحية .

وفي **الفصل الثاني** حاولنا إعطاء نظرة عامة عن التأثيرات الخارجية على العقيدة المسيحية وكيف تحولت من عقيدة شرقية الموضع إلى عقيدة غربية هلنستية خالصة ويعد هذا في نظر الكتاب الغربيين هرطقة وجب صرف النظر عنها .

وفي **الفصل الثالث** فقد ركزنا عن **طوائف المسيحية وفرقها** والحركات التو حيدية المسيحية التي أرادت أن تعيد المعدن الأصلي للعقيدة المسيحية كما نزلت على السيد المسيح عليه السلام .

أما عن منابع الدراسة فقد تنوعت بين المصادر والمراجع فقد اعتمدنا في بحثنا على المصادر التي نلتمس فيها وفرة المادة وان كان تناول هذه المصادر في حد ذاته إشكالية بسبب التوجهات الفكرية والحضارية وحتى الاختلاف في الأزمنة وما وقفنا عليه من تناقضات فحاولنا قدر المستطاع قطع دابر الشك باليقين ، فأهم المصادر التاريخية هي العهد الجديد وهناك مراجع أخرى عديدة وإن كانت قليلة هي التي تخص الموضوع فقد حاولنا قدر المستطاع تناول ما يسهل استيعابه وتصنيفه مسلطين الضوء على المراجع التي تتكلم على الموضوع بحيث لا يمكننا أن نجد مراجع معينة تدرس موضوع دور المجامع الدينية في تاريخ العقيدة المسيحية ، فمعظمها تطرق للموضوع عرضا وباختصار فمن أهم المراجع المعتمد عليها أضواء على المسيحية لمتولي يوسف شلبي الذي أعطى لنا صورة عامة عن تاريخ العقيدة المسيحية بالإضافة إلى كتاب المسيحية والإسلام و الإستشراق لمحمد فاروق الزين والذي أوجز لنا الفرق المسيحية وتداعيات المجامع الدينية وصولا إلى كتاب معالم تاريخ أوربا في العصور الوسطى لمحمود سعيد عمر افالذي بين" التاريخ السياسي لأوربا في العصور الوسطى مضيفا إليه الواقع الذي عاشته المسيحية عصرئذ .

وفي الختام لا يمكننا أن ندعي أننا ألممنا بجوانب الموضوع لكن حسبنا أننا اجتهدنا قي إبراز دور المجامع الدينية في تاريخ العقيدة المسيحية ....ولله وحده الكمال وعليه المعتمد والاتكال.

الفصل التمهيدي : نــشأة المسيحية وانــتشارها .

المبحث الأول : البدايات الأولى للمسيحية .

المبحث الثاني : انتشار المسيحـية .

المبحث الثالث : اعتراف الإمبراطورية الرومانية بالمسيحية .

المبحث الرابع : الصعاب التي واجهتها المسيحية .

المبحث الخامس : موقف الوثنية من المسيحية .

المبحث السادس : انتصار المسيحية وزيادة نفوذها .

المبحث السابع : نشأة البـــــابوية .

المبحث الأول : البدايات الأولى للمسيحية

ولد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام أثناء عهد الإمبراطور أغسطس ببيت لحم بفلسطين،في وقت أخذ العالم الروماني يشعر بنوع من الفراغ أو الجذب الروحي ، فالرومان أنفسهم بدءوا ينظرون إلى عبادة الدولة الرسمية وتقديس الأباطرة ، على أنها أمور شكلية ، مما دفع المتعلمين بوجه خاص إلى الاستخفاف بالعقائد الدينية السائدة – سواء أكانت يونانية أو رومانية الأصل – ومن ثم أخذ بعضهم يتجه نحو الآراء السائدة بالشارع الروماني ، حتى وإن كانت هذه التعاليم تبدوا أضعف من أن تشبع الحاجة الروحية للمثقفين نظرا لما امتازت به من تطرف وغياب المنطق .

والواقع أن القرنين الثالث والرابع لم يشهدا انتصارا سريعا للمسيحية[1] فحسب بل أيضا لكثير من الديانات الأخرى ، ذلك أن الديانة الرومانية لم يكن لها وقع عاطفي في نفوس الناس الذين قاموا بتقديم القرابين للآلهة الوثنية لا شيء سوى قضاء مصالحهم الدنيوية الخاصة ، أما الآلهة ذات الأصل الأجنبي التي وجدت في روما أو غيرها من أنحاء الإمبراطورية مثل غاليا وبريطانيا فكانت هي الأخرى رموزا شكلية لا تثير حماسة دينية في نفوس المعاصرين وفي وسط هذا الفراغ الديني الكبير لم يجد أهالي الإمبراطورية وسيلة سوى الاتجاه شطر العقائد الدينية المستوردة من الشرق ،كديانة إزيس من مصر والمسيحية التي نبتت في فلسطين .

ومن الواضح أنه لا يوجد محل للمقارنة بين المسيحية وغيرها من الديانات التي عرفها الشرق منذ أقدم العصور حتى ذلك الوقت،لأن قصة المسيح وحياته فاقت في سموها وجمالها بقية القصص الديني المعاصر،ويكفي أن تعاليمه مستمدة من الكتاب المقدس يمكن أن يفهمه ويتأثر به الخاصة والعامة لا من فلسفة اليونان التي لا

[1] . محمود سعيد عمران ، معالم تاريخ أوربا في العصور الوسطى ، دار النهضة العربية ، ط 2 ، ص55 .

يمكن أن يتفهمها سوى فئة من خاصة المثقفين فإذا أضفنا تميز فريقا على آخر ، أدركنا سر انتشارها السريع وتفوقها في النهاية على غيرها من العقائد الشرقية المعاصرة [1] .

المبحث الثاني : انتشار المسيحية

من المعروف أن معلوماتنا عن تاريخ الكنيسة في عصرها الأول ، وكذلك عن انتشار المسيحية في أركان الإمبراطورية ضئيلة وغير كافية ، وإن كان من الثابت أن الفضل الأول يرجع إلى بولس في تنظيم المجتمعات المسيحية الأولى ووضع قواعد اللاهوت وما يرتبط به من فلسفة المسيحية المتعلقة بالأخلاق والأخرويات كالموت والبعث والحساب والخلود ، فضلا عن جهوده في وضع دعائم الكنيسة الكاثوليكية العالمية ، وهكذا أخذت المسيحية تنتشر انتشارا حثيثا بحيث لم يكد القرن الأول ينتهي إلا وكانت كل ولاية رومانية من الولايات المطلة على البحر الأبيض المتوسط تضم بين جوانبها جالية مسيحية [2]، بل أن المسيحيين كونوا جالية ملحوظة في روما نفسها منذ وقت مبكر يرجع إلى سنة (**64**م) مما عرضهم لنقمة الإمبراطور نيرون واضطهاده ، وهنا نشير إلى أنه ليس من الواقع في شيء ما يظنه البعض من أن انتشار المسيحية في أوائل عهدها اتخذ اتجاها أفقيا فحسب أعنى بين الطبقات الفقيرة والمعدمة في المجتمع الروماني دون غيرها من الطبقات ، إذ يثبت الواقع أن هذا الانتشار الأفقي صحبه انتشارا آخر رأسي تصاعدي ، من الطبقات الدنيا إلى الطبقات الراقية العليا التي تمثل الجانب الأرستقراطي في المجتمع الروماني ، ويبدوا هذا بوضوح في كتابات الرومان المعاصرين في قبرص وسالونيكا وبيثينيا وغيرها من الولايات الرومانية ، فضلا عن رسائل بولس ، حقيقة أن الغالبية العظمى ممن اعتنقوا المسيحية في أوائل عهدها كانوا من الطبقة العاملة ، وأن الطبقات العليا في المجتمع الروماني لم تقبل على

[1] . سعيد عبد الفتاح عاشور، أوربا العصور الوسطى ، مكتبة الأنجلو مصرية ،ج 1،ط 5 ، 1972م ، ص 48 .

[2] . محمود سعيد عمران ، المرجع السابق ، ص55 .

اعتناق المسيحية في أعداد ضخمة إلا بعد أن تم الصلح بين الكنيسة والدولة بمقتضى مرسوم ميلان سنة 313 م ولكن ليس معنى ذلك أن المسيحية أعدمت أنصارا لها بين أفراد الطبقة الارستقراطية خلال القرون الثلاثة عن عمرها [1].

وهنا نلاحظ أن ظروف الإمبراطورية الرومانية والأوضاع التي أحاطت بها كانت أكبر مساعد على سرعة انتشار المسيحية بين ربوعها ، فهذه الإمبراطورية امتازت بشبكة واسعة من الطرق الضخمة التي ربطت مدنها وأطرافها برباط وثيق فضلا عن الأمن والسلام الذين سادا ربوعها ، ونشاط التبادل التجاري بين مختلف أجزائها هذا كله عدا سيادة اللغة اللاتينية في الأجزاء الغربية من الإمبراطورية ، واللغة اليونانية في أجزائها الشرقية ، مما جعل من اليسير انتقال الأراء والأفكار والمعتقدات في سهولة بين مختلف أنحاء الإمبراطورية ، وبالتالي انتشار المسيحية ووصولها إلى أقصى أطراف البلاد في سرعة فائقة على أن التعارض لم يلبث أن ظهر حادا بين تعاليم المسيحية وعقائدها من جهة والنظم والقواعد التي قامت عليها الدولة الرومانية من جهة أخرى هذا إلى أن فكرة قيام منظمة دينية أو كنيسة منفصلة عن الدولة جاءت غريبة عن العقلية الرومانية والفكر الروماني جميعا .

وكان الوضع المعروف في النظم الرومانية أن فئة واحدة من كبار الموظفين أن تمسك بزمام جميع الوظائف الكبرى في الدولة من سياسة ومدينة وحربية ودينية ، مع ترك حرية العقيدة لكل مواطن روماني طالما هو يعترف بآلهة الدولة الرسمية من جهة ، وطالما أن عقيدته لا تهدد سلام الإمبراطورية من جهة أخرى وكل ما هنالك هو أنه يجب على الرعايا مع اختلاف عقائدهم أن يعترفوا بعبادة الإمبراطور القائم ، وهو أجزاء يشبه يمين الولاء

[1] . سعيد عبد الفتاح عاشور ، المرجع السابق ، ص 48 .

للحاكم في أيامنا ،ولم يعف من هذا التكليف الأخير داخل حدود الإمبراطورية الرومانية سوى اليهود ، في حين لم يتمتع المسيحيون بهذا القدر من الحرية الدينية [1].

ومن الثابت أن المسيحية لم تكن الديانة الأجنبية الوحيدة التي كان على الحكومة الرومانية أن تحدد موقفها منها، لذلك يبدو أن الأمر اختلط على الرومان في أول الأمر فظنوا أن المسيحية ليست إلا فرقة من الديانة الموسوية اليهودية ، لاسيما أن المسيحيين رفضوا مثل اليهود تأليه الإمبراطور وعبادته ، ولكن لم يكد ينتهي القرن الأول حتى اتضح الأمر وظهرت الفوارق واضحة بين الديانتين ، لأن المسيحيين لم يؤمنوا بأية عقيدة أخرى وأخذوا يجتمعون سرا لمباشرة طقوسهم الدينية ، كما رفضوا الخدمة في الجيش الروماني ، واتخذوا أول أيام الأسبوع ليكون ذا صفة دينية بدلا من السبت عند اليهود وهكذا أخذت الحكومة الرومانية تغير نظرتها إلى المسيحيين [2] وتعتبرهم فئة هدامة تهدد أوضاع الإمبراطورية وسلامتها ، والمعروف أن أية حكومة تعتبر الاجتماعات السرية الخاصة يعقدها فريق من رعاياها أمرا يخشى منه على كيانها لاسيما إذا كانت هذه الاجتماعات تضم الطبقات الفقيرة التي انتمى إليها معظم المسيحيين الأوائل وبعبارة أخرى فإن سبب تشديد خناق الحكومة الرومانية على المسيحية كان اجتماعيا لا دينيا ، لأن المسيحية بدت في صورة ثورة اجتماعية خطيرة تنادي بمبادئ من شأنها تقويض الدعائم التي قام عليها المجتمع الروماني ، وهنا نلاحظ أن نظرة الحكومات إلى الطوائف والجماعات الصغيرة تختلف عنها إلى الجماعات الكبيرة بمعنى أن نظرة الحكومة الرومانية إلى المجتمعات المسيحية الصغيرة في

[1] . عبد الباز العريني ، تاريخ أوربا في العصور الوسطى ، دار النهضة العربية ، ط 1 ، ص 57 .
[2] . نفســه ، ص 59 .

أول الأمر كانت لا تعدوا الاستخفاف بها والتهوين من أمرها ، بعكس ما أصبح الحال عندما ازداد انتشار المسيحية وكثر أتباعها وعندئذ تحولت نظرة الحكومة الرومانية إلى نوع من الخوف والشك في أمرها [1].

وكان أن بدأت الحكومة الرومانية تعتبر اعتناق المسيحية جرما في حق الدولة ، فمنعت اجتماعات المسيحيين وأخذت تنظم حملات الاضطهاد ضدهم .

ولم يقم بهذه الموجة الاضطهادية ضد المسيحيين بعض الحكام المتعسفين المعروفين بجبروتهم مثل نيرون الذي قدم مسيحي روما طعاما للنار العظيمة التي أشعلها سنة (**64م**) فحسب بل شارك فيها أيضا فئة من خيرة الأباطرة المصلحين المعروفين بحرصهم على تنفيذ القانون ومن الأباطرة تراجان وهادريان وأنطونيوس بيوس وماركوس أورليوس ، ومن أولى الوثائق التي تصور لنا بداية عهد المسيحيين بالاضطهاد ، تلك الرسالة التي أرسلها بليني الصغير حاكم بيثينا إلى الإمبراطور تراجان (98- 117م) يفيده فيها بأنه عفا عن جميع المشكوك في أمرهم بعد أن قبلوا على تقديم القرابين لتمثال الإمبراطور ، في حين أعدم الذين امتنعوا عن فعل ذلك ، وقد أجاب الإمبراطور تراجان معبرا عن استحسانه لتصرفه .

ورغم الاضطهاد فقد أتى بنتيجة عكسية ، لان روح الشجاعة والصبر والإيمان التي واجه بها شهداء المسيحية مصيرهم أصبحت موضع إعجاب الكثيرين الذين أقبلوا هم الآخرون على اعتناق الديانة الجديدة،وهكذا لم يكد يحل القرن الثالث إلا وكانت المسيحية قد أصبحت قوة خطيرة نتيجة لازدياد عدد أتباعها زديادا مطردا،مما دفع الإمبراطور دقليانوس إلى التطرف في قمعها في أوائل القرن الرابع ، لاسيما بعد أن أدى ازدياد نفوذ المسيحية بين رجال الجيش إلى التهديد بالقضاء على ولاء الجند للإمبراطورية .

[1] . سعيد عبد الفتاح عاشور ، المرجع السابق ، ص 51 .

وقد أصدر هذا الإمبراطور عدة مراسيم منع فيها صلاة المسيحيين وأمر بهدم كنائسهم وإحراق كتبهم وحبس قساوستهم وطردهم نهائيا من الوظائف الحكومية ، إلى غير ذلك من الإجراءات المشددة التي جعلت المسيحيين يطلقون على الفترة الأخيرة من حكمه " عصر الشهداء" ، ويبدوا أن هدف دقليانوس من هذه السياسة كان محاولة إجبار الكنيسة عن طريق الاضطهاد على الخضوع للدولة ، شأنها شأن بقية الهيئات والمنظمات الاجتماعية في الدولة الرومانية ، ذلك أن قيام الكنيسة كهيئة مستقلة أو كدولة داخل دولة ، أمر يتعارض مع المبدأ الأول الذي أقام عليه دقليانوس نظامه وبنى إصلاحاته ، والذي يقضي بخضوع جميع الرعايا لسيادة الدولة المطلقة .

وهنا نلاحظ أن اضطهاد الأباطرة والحكام لم يكن الخطر الوحيد الذي هدد المسيحية في هذا الدور من تاريخيها ، بل كان على الديانة الجديدة أن تواجه عندئذ تهديدا خطيرا من شأنه أن يفقدها طابعها الأساسي وذلك من ناحية الأداريين الذين حاولوا خلط تعاليم المسيحية بالآراء الميتافيزيقية والأفلاطونية الذي واجهته المسيحية من جانب اليهود [1] .

[1] . فراس السواح ، آرام دمشق وإسرائيل في التاريخ والتاريخ التوراتي ، دار علاء الدين ، ط1 ، 1995 م ، ص 79 .

المبحث الثالث : اعتراف الإمبراطورية الرومانية بالمسيحية

ومهما يكن من أمر المسيحية خرجت من جميع هذه المعارك ظافرة مرفوعة الرأس لاسيما بعد أن أخذ الإمبراطور قسطنطين بسياسة الأمر الواقع فأصدر مرسوم ميلان الشهير سنة (**313 م**) معترفا بوضع الديانة المسيحية [1]كإحدى الشرائع المصرح باعتناقها داخل الإمبراطورية ، بمعنى أن يتمتع المسيحيون في الإمبراطورية بكافة الحقوق التي تمتع بها غيرهم من أتباع الديانات الأخرى ، وهنا يصح أن نتوقف قليلا لنتدبر أهمية هذه الخطوة الجريئة التي أقدم عليها قسطنطين ، فإذا تذكرنا أن الإمبراطورية الرومانية قامت على أساس الوثنية وفكرة تأليه الأباطرة ، وإذا تذكرنا ما نزل بالمسيحية في مختلف الولايات الرومانية من تعذيب واضطهاد ، وإذا أدركنا ما ترتب على اعتراف قسطنطين بالمسيحية من انتشار سريع لهذه الديانة الجديدة وازدياد نفوذ رجالها حتى أصبحت الكنيسة أقوى العوامل التي كيف تاريخ أوربا العصور الوسطى ، أمكننا في النهاية أن نتحقق من أهمية هذه الخطوة التي أقدم عليها قسطنطين ، ويمكن أن نضيف إلى هذا ما سبق أن أشرنا إليه في الباب السابق من أن قسطنطين أتبع اعترافه بالمسيحية بنقل عاصمة الإمبراطورية من روما إلى القسطنطينية ، وأنه هجر روما الخالدة إلى عاصمته الجديدة بالشرق مما يشير إلى أن ثمة تغييرا أساسيا أخذ يعتري وجه العالم القديم وأن العالم أصبح على أبواب عصور وسطى جديدة لم تعد فيها روما مركز الإمبراطورية من جهة ، وأصبحت المسيحية ورجالها بمثابة القوة الفعالة في المجتمع الأوربي من جهة أخرى .

وقد اختلفت آراء الباحثين حول الحافز الذي دفع قسطنطين إلى إصدار مرسوم ميلان السابق ، وهل جاء صدور هذا المرسوم عن عقيدة صادقة وإيمان بالمسيحية أم هو مجرد إجراء سياسي اتخذه قسطنطين بالمسيحية

[1] . ينظر يوسوبياس ، تاريخ الكنيسة ، ترجمة مرقس داود ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، القاهرة–مصر،ص 36 .

كما توجد أدلة كثيرة تثبت إيمان قسطنطين بالمسيحية ، كما تو جد أدلة أخرى عديدة توضح استمرار اعتقاده في الوثنية ، ذلك أن عدد المسيحيين عندئذ لم يتجاوز عشر مجموع سكان الإمبراطورية ، الأمر الذي يؤيد الرأي الأول بأن قسطنطين اتخذ قراره عن شعور ديني لا بدافع المصلحة السياسية .

على أننا إذا تأملنا الموقف قليلا وجدنا أن المسيحية كانت أوسع انتشارا وأشد تركيزا في الشرق منها إلى الغرب بحيث أن آسيا الصغرى غدت من المراكز الرئيسية للمسيحية في القرن الرابع ، هذا في الوقت الذي كان قسطنطين قد انتصر على خصمه ماكسنتيوس في موقعه جسر ملويان بإيطاليا سنة 313 م ، وبذلك دان لسلطانه الجزء الغربي من الإمبراطورية ولم يبق أمامه سوى إخضاع جزئها الشرقي ، حتى يتحقق له قد أصدر مرسوم ميلان غداة انتصاره على ماكنتيوس في الغرب ليفتح أمامه أبواب الشرق ، وتتواتر في المراجع التاريخية قصة شهيرة حكاها أيوزيب أسقف قيصرية المعاصر نسبها إلى قسطنطين نفسه ، وخلاصتها أنه حدث أثناء زحف الإمبراطور على روما لمحاربة خصمه أن رأى بعد غروب الشمس هالة من النور مضيئة في السماء على شكل الصليب شعارا له والزحف على عدوه فورا ، فكانت هذه الظاهرة وما تبعها من نصر حققه قسطنطين على خصمه من الدوافع الأساسية لاعترافه بالمسيحية واعتناقه لهـــا [1].

ومهما يكن من أمر ، فإن مرسوم ميلان سنة (**313 م**) جعل من المسيحية ديانة مرخصة كما ساوى بينها وبين غيرها من الديانات الأخرى داخل الإمبراطورية الرومانية وتعهد بحماية أرواح المسيحيين وممتلكاتهم أسوة ببقية رعايا الإمبراطورية،ومن هذا يبدوا أن سياسة قسطنطين الدينية تمثل حلقة انتقال،كما أنها تعبر عن التطور الفكري أكثر منها عن تحول روحي،ذلك أنه تسامح مع المسيحيين في الوقت الذي لم يضطهد الوثنيين وعن

[1] . هـ فشر ، تاريخ أوربا في العصور الوسطى ، ترجمة محمد مصطفى زيادة ، دار المعارف للنشر والتوزيع ، ط 5 ، ص 6 .

هذا الطريق حاول أن يمسك العصا من وسطها ليحقق نوعا من التوازن بين المسيحية والوثنية ، والواقع أن عهد الإمبراطور قسطنطين يمثل عدة تيارات دينية متضاربة ، إذ لم يقتصر فيه الوضع على التطاحن بين المسيحيين والوثنيين ، بل انقسمت المسيحية الناشئة على نفسها بين الأريوسين والإثناسيوسين، مما جعل كل فريق يعمل للفوز والحصول على أكبر قدر ممكن من الامتيازات على حساب المذهب الأخر ، وهنا وجد قسطنطين فرصته فحاول أن يرضي الجميع دون أن يغضب فئة أو مذهبا ، وهكذا اعترف قسطنطين بالمسيحية دون أن يتنكر لديانة الدولة أو يتخلى عن عبادة الإمبراطور التي كانت مصدرا أساسيا لقوة الأباطرة ونفوذهم ، وبعبارة أخرى فإن قسطنطين أختار أن يقيم قوته السياسية على ثلاثة دعائم رئيسية هي العبادة الإمبراطورية ، والعقيدة الأريوسية ، والعقيدة الإثناسيوسية ،كما يتضح ذلك من سياسة الإمبراطور وتصرفاته ، ذلك أنه احتفظ بعبادة الوثنية القديمة وبرجالها ومعابدها وطقوسها ،كما احتفظ كأسلافه من الأباطرة بلقب الكاهن الأعظم ، أما بلاطه فقد أصبح يغص بالأساقفة والقساوسة من مختلف المذاهب المسيحية ، جنبا إلى جنب مع الكهنة والفلاسفة والوثنيين ، هذا في الوقت الذي صارت وظائف الدولة الكبيرة قسمة بين الوثنيين والمسيحيين ، كما نقشت على نقوده شارات المسيحية والوثنية .

أما عن حياته الخاصة فان قتل قسطنطين لزوجته وولده يدل على انه لم يتأثر إطلاقا بتعاليم المسيحية وأخلاقها ، و هكذا يمكن القول بأن قسطنطين ظل حتى أواخر حياته وثنيا مع الوثنيين وأثناسيوسيا مع الأثناسيوسيين و أريوسيا مع الأريوسين .

و قد شهدت المسيحية منذ أوائل عهدها خلافات مذهبية خطيرة كان لها أثر عظيم في تاريخ الشرق و الغرب جميعا ، وربما يبدو من الأنسب في كثير من الأحيان الابتعاد عن الخوض في هذه الخلافات و المشاكل الدينية في

دراسة تاريخية كالتي تقوم بها ، و لكننا عندما نجد الخلاف المذهبي يتحكم في توجيه التيارات السياسية بل في تغيير مجرى أحداث التاريخية – كما حدث فعلا في القرنين الرابع و الخامس نرى أنفسنا مضطرين إلى الإشارة إلى مختلف وجهات النظر الدينية حتى نستطيع في ضوئها أن نتفهم ما ترتب عليها من أحداث السياسية ، و هنا نلاحظ أن الخوض في المسائل اللاهوتية لم يقتصر في قرن الرابع على رجال الدين ، و إنما كان أمرا مباحا و موضوعا مفتوحا أمام الجميع ، و خير شاهد في ذلك ما كتبه جريجورى أسقف نيساnyssa (340 – 400) عن القسطنطينية ، إذ يصف العمال و العبيد في هذه المدينة بأنهم جميعا من المشتغلين باللاهوت ، فإذا قصدت صرافا لاستبدال قطعة نقود أوقفك ليروى لك أوجه الخلاف بين المسيح الابن و الإله الأب ،وإذا ذهبت لشراء ورغيف خبز أخبرك صاحب المخبز بأن الابن يجب أن يكون دون الأب ، إذا طلبت من الحمامي إن يعد لك الحمام أجابك بان الابن وجد من لا شيئ [1] .

[1] . هـ فشر ، المرجع السابق ، ص 13 .

المبحث الرابع : الصعاب التي واجهتها المسيحية

المشكلة الكبرى التي قسمت المسيحيين و بالتالي العالم الروماني إلى معسكرين و أثارت البغضاء الدينية و السياسية بينهما لمدة قرنين من الزمان فكانت مشكلة تحديد العلاقة بين المسيح الابن و الإله الأب ، ذلك أنه حدث خلاف بين اثنين من رجال الكنيسة بالإسكندرية حول تحديد هذه العلاقة ، فقال أريوس وهو كاهن أسكندري مثقف بان المنطق يحتم وجود الأب قبل الابن ، ولما كان المسيح الابن مخلوق للإله الأب فهو إذا دونه و لا يمكن بأي حال أن يعادل الابن الإله الأب في المستوى و القدرة و بعبارة أخرى فإن المسيح مخلوق لا اله بمعنى هذه الكلمة المطلق ، و إلا فان المسيحيين يصبحون متهمين بعدم التوحيد و بعبادة الهين ، أما اثناسيوس فقال بأن فكرة الثالوث المقدس تحتم بان يكون الابن مساويا للإله الأب تماما في كل شيء بحكم أنهما من عنصر واحد بعينه هذا وان كان شخصين متميزين و يبدو أن أثناسيوس أدرك أن المسيحية تعتمد في دعوتها على مكانة المسيح و أن أي اتجاه نحو التقليل من مركزه يؤدي إلى إضعاف الدعوة المسيحية و هكذا كان الأنصار أريوس من الموحدين ، ومن الواضح أن المذهب الأريوسي كان يتفق و منطق المثقفين لأنه أراد أن يقيم العقائد المسيحية على أساس من المنطق و التعقل ، في حين كان المذهب الأثناسيوسي يستقيم و تفكير عامة الناس من البسطاء الذين يحكمون عواطفهم قبل عقولهم ، و هنا نلمس أثر الفوارق الحضارية بين الشرق و الغرب، و إذ لم يلبث أن ساد المذهب الأثناسيوسي في بلاد الغرب اللاتيني في حين أصبحت الغابة في الشرق الهلليني للمذهب الأريوسي، هذا فضلا عما نلحظه من أن معظم المفكرين و الفلاسفة و الأدباء كانوا أريوسيين موحدين ، في حين كانت معظم الطبقات الوسطى و الدنيا التي انتمى إليها رجال الدين من الأثناسيوسيين [1].

[1] . سعيد عبد الفتاح عاشور ، المرجع السابق ، ص 56 .

وعندما اشتد الجدل و تفاقم النزاع بين الطرفين ، خشي الإمبراطور قسطنطين أن يؤثر ذلك على وحدة الإمبراطورية ، فحاول أن يوفق بين المذهبين ، وأرسل مبعوثا (هوسيوس) إلى الإسكندرية لهدا الغرض ، ولكن جهود الإمبراطور لم تكلل بالنجاح ، لذلك دعا قسطنطين إلى عقد مجمع ديني في نيقية سنة 325م لحسم الخلاف ، وكان هذا المجمع أول مجمع مسكوني عالمي في تاريخ الكنيسة ، إذ حضره نحو ثلاثمائة من رجال الدين في الشرق و الغرب ، و رأسه الإمبراطور قسطنطين نفسه ، على الرغم من أنه لم يكن معمدا ، وقد أدان مجمع نيقية آريوس ، و بالتالي تقرر نفيه إلى اليريا وإعدام كتاباته و تحريم تداولها و اضطهاد أتباعه من الأريوسيين ومع ذلك فقد ظلت الأريوسية قائمة في أجزاء الشرقية من الإمبراطورية و عن هذا الطريق انتقلت إلى الأمم الجرمانية بواسطة المبشرين و رجال الدين .

ولعل بقاء المذهب الأريوسي قويا في الشرق كان من العوامل التي أدت بالإمبراطور قسطنطين إلى تغيير رأيه فاستدعى أريوس من منفاه سنة 327م ، ونستطيع أن نعلل هذا التغيير الذي طرأ علىمسلك قسطنطين بما كان يعتزمه الإمبراطور من نقل عاصمته إلى القسطنطينية ، وهو الأمر الذي تم فعلا سنة 330 م ، مما استلزم استرضاء أهالي الجزء الشرقي من الإمبراطورية [1].

وتؤكد هذه الخطوة من جانب قسطنطين الرأي القائل بأنه كان على استعداد تام لتغيير ميوله المذهبية —بل الدينية– وفق ما تتطلبه مصالحه السياسية ، ذلك أنه ظل يؤيد المذهب الإثناسيوسي طالما كانت عاصمته في الغرب وطالما اعتمد على الغرب في قوته ، ولكنه عندما شرع في نقل عاصمته إلى الشرق وأحس بالحاجة إلى استرضاء سكان القسم الشرقي من الإمبراطورية ، لم يجد غضاضة في تغيير عقيدته أو ميوله نحو المذهب

[1]. *Vergely Bertrand : Les philosophies du moyens âges et de renaissance, les -essentielles, Milan, 1998 ,p125.*

الأريوسي ، وهكذا تم عقد مجمع ديني جديد في صور 334 ألغى قرارات مجمع نيقية السابق ، وقرر العفو عن أريوس وأتباعه ، وبذلك دارت الدوائر على أثناسيوس الذي عزل في العام التالي ونفى إلى تريف في غاليا حيث ظل حتى أطلق سراحه الإمبراطور جوليان (361- 363م) الذي كان بحكم وثنيته لا يهتم بأمر الأريوسيين أو الإثناسيوسين ، على أن أريوس لم يلبث أن توفى فجأة في القسطنطينية سنة 336م مما جعل أتباعه يهمسون بأنه مات مسموما ، في حين هلل خصومه واعتبروا ذلك حكم الله العادل ، ولم يلبث أن لحق به الإمبراطور قسطنطين فتوفى هو الآخر سنة 337م بعد أن تم تعميده على فراش الموت وفق مبادئ المذهب الأريوسي [1].

وكان قسطنطين قد قسم الإمبراطورية قبل وفاته بين أبنائه الثلاثة ، فأخذ قسطنطين الثاني الغرب وأخذ قسطنطنيوس الشرق في حين كانت اليريا والجزء الأوسط من شمال افريقية من نصيب قنسطانز ، وهنا نجد كل حاكم من هؤلاء الحكام الثلاثة يعمل على توطيد نفوذه عن طريق المذهب السائد في بلاده ، فاتجه قسطنطيوس نحو تشجيع الأريوسية ، في حين دأب أخواه على تأييد الإثناسيوسية ، مما جعل الخلاف المذهبي يتطور إلى انقسام في الكنيسة بين الشرق اليوناني والغرب اللاتيني ، وعندما توفى قسطنطين الثاني أصبحت مهمة الذود على العقيدة الإثناسيوسية تقع على عاتق البابوية ورجال الدين في الغرب ، فصار عليهم أن يتكاتفوا لاسيما بعد مقتل قنسطانز وتوحيد الإمبراطورية الرومانية تحت حكم قنسطنطيوس (353-361م) ذلك أن الإمبراطور قنسطنيوس عرف بولائه للمذهب الأريوسي ولاء دفعه إلى العمل على فرض هذا المذهب على أجزاء الإمبراطورية الغربية ، مما جعل كفة الأريوسية ترجح في الإمبراطورية الرومانية عند وفاته سنة 361م، على أن هذا الرجحان كان مؤقتا ، إذ لم يلبث الإمبراطور ثيودسيوس (379-395م) أن أعلن نهائيا عدم شرعية المذهب الأريوسي في مجمع القسطنطينية سنة 381 م ، كما فرض عقوبات مشددة على أتباع المذهب الأريوسي في جميع أنحاء الإمبراطورية .

[1] . ينظر فاضل سليمان ، أقباط مسلمون قبل محمد ، ط 1، دار النور للإنتاج والتوزيع ، ص 55 .

المبحث الخامس : موقف الوثنية من المسيحية

موقف الوثنية تداعى في هذه الحقبة ، فقد ظل قسطنطين الأول حتى وفاته سنة 337 م يتخذ موقفا وسطا بين المسيحية بمذهبيها من جهة والوثنية من جهة أخرى ، ولكن حدث أن أبناء هذا الإمبراطور خالفوا أباهم واختاروا عدم الاستقرار في مجاملة الوثنية وأهلها ، بل شنوا عليها موجة عنيفة من الاضطهاد فصادروا معابدها من أراض وممتلكات،حتى إذا ما حلت سنة 340 م مع الأباطرة الثلاثة تقديم القرابين لآلهة الوثنية ، ثم أغلقت معابدها بعد ذلك بعدة سنوات [1].

على أن الوثنية لم تستسلم في سهولة مطلقة ، إذ أبت إلا أن تصحو من جديد ، وذلك عندما تولى حكم الإمبراطورية جوليان المرتد (361- 363م) الذي كان متمسكا بأهداب الحضارة اليونانية الوثنية ، فتخلى عن المسيحية سرا قبل أن يتولى منصب الإمبراطورية ، ولم يكد يتولى هذا المنصب عقب وفاة الإمبراطور قسطنطيوس الثاني 361 م حتى أعلن ارتداده عن المسيحية ، وأخذ يعمل على تخليص الوثنية من المحنة التي تعرضت لها نتيجة لطغيان المسيحية عليها ولذلك أمر بفتح معابد الوثنية التي أغلقت وفق مرسوم قسطنطيوس ، ويبدوا لنا من وقائع الحقائق التاريخية أن الإمبراطور جوليان لم يكن متعصبا ضد المسيحية ، وإنما أراد فقط أن يرفع عن الوثنية وأهلها ، وبعبارة أخرى أراد جوليان أن يحقق نوعا من المساواة والتوازن بين المسيحية والوثنية وفقا للغرض الذي أملى إصدار مرسوم ميلان سنة 313 م ويمكننا أن نحكم على جوليان حكما أكثر عدالة واتزانا إذا علمنا أنه

[1] . كمال الصليبي ، البحث عن يسوع ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، ط 1 ، 1999 م ، ص 107 .

امتدح بعض المبادئ الكريمة التي نادت بها المسيحية مثل الإحسان والرحمة والعطف على الفقراء والمرضى حتى أنه كتب إلى أحد الكهنة الوثنيين يخبره في صراحة تامة بأن الوثنية تفتقر إلى مثل هذه الخلال الحميدة [1] .

على أن هذا الشعور لم يمنع الإمبراطور جوليان من العمل على رفع شأن الوثنية حتى لا تبدوا في مستواها دون المسيحية ، فأعاد تنظيم رجال الدين الوثنيين وفق النظام المعمول به في الكنيسة ، وعنى بالمعابد الوثنية وزينتها حتى لا تبدو أقل جمالا من الكنائس ، وفي الوقت نفسه منع جوليان رجال الكنيسة من السفر مجانا على حساب الحكومة صحبة البريد الإمبراطوري ، كما أخذ يستبعد المسيحيين تدريجيا من وظائف الجيش والإدارة ليحل محل الوثنيين محلهم .

ولكن يبدو أن هذه الصحوة التي مرت بها الوثنية على عهد الإمبراطور جوليان لم تكن إلا صحوة الموت إذ لم يلبث المسيحيون أن استردوا في عهد جوفيان- الذي حكم لمدة لا تتجاوز سبعة أشهر – مكانتهم وامتيازاتهم التي حرمهم منها جوليان ، ثم جاء الإمبراطور جراشيان (375-383م) فتخلى عن لقب الكاهن الأعظم الذي تمسك به الأباطرة السابقين ، بل أن هذا الإمبراطور سرعان ما استأنف سنة 382م سياسة مصادرة ممتلكات المعابد الوثنية ، حقيقة أن هذه الإجراءات لا تعني القضاء على الوثنية قضاء تاما مبرما ، إذ ظلت الوثنية قوية وبصفة خاصة في الغرب وروما حيث استمرت تشيد لها المعابد حتى أواخر القرن الرابع ولكن تشيد المعابد الوثنية في هذه الفترة المتأخرة أصبح لا يتم على نفقة الحكومة كما كان الحال من قبل ، ومن ثم كانت بداية التطرف في

[1] . شارل جنيبير ، المسيحية نشأتها وتطورها ، ترجمة عبد الحليم محمود ، ج1 ، المكتبة العصرية ، بيروت لبنان ، ص 165 .

استخدام القوة والعنف ضد الوثنية وأهلها على عهد الإمبراطور ثيودسيوس الأول الذي نجح في توحيد العالم الروماني تحت حكمه سنة 394 م وقد استمرت الحرب التي بدأها ثيودوسيوس الأول ضد الوثنية مدة ثلاثين سنة بعد وفاة هذا الإمبراطور ، أقفلت فيها معابد الوثنيين وأعدمت كتبهم ومنعوا من مباشرة طقوسهم الدينية حتى داخل منازلهم ، بل إن الإمبراطور أركاديوس (395-408م) أصدر مرسوما بتحطيم معابد الوثنية –لا إغلاقها فحسب- واستغلال أحجارها ومواردها في إقامة منشآت عامة ، وعندئذ أدركت الوثنية قرب مصيرها المحتوم فلم تجد بدا من الفرار والالتجاء إلى مناطق العزلة النائية في إيطاليا وغاليا ، وهكذا ظل الحال حتى القرن السادس عندما أقام بندكت ديره الشهير سنة 529 على أنقاض آخر ما تبقى من معابد أبولو في مونت كاسينو وفي السنة السابقة نفسها أغلق جستنيان مدارس الفلسفة في أثينا بوصفها ركنا من أركان الوثنية [1].

[1] . شارل جنيبير ، المرجع السابق ، ص 154 .

المبحث السادس : انتصار المسيحية وزيادة نفوذها

على أن انتصار المسيحية استلزم قيام تنظيم جديد للعلاقة بين الكنيسة من جهة والدولة والمجتمع من جهة أخرى ذلك أن الإمبراطورية الرومانية كان لها دين رسمي وكهنة يتمتعون بمساندة الحكومة وتأييدها ، ولكن رجال الدين في العصر الوثني لم يحاولوا إطلاقا التدخل في شؤون السلطة الزمنية بعكس الكنيسة التي أخذت تكتسب شيئا فشيئا صفة السلطة الجديدة منافسة للسلطة العلمانية ، مما أوجد نفورا بين السلطتين الزمنية والروحية وهنا نلاحظ أن تدخل الكنيسة في شؤون السلطة الزمنية أخذ يستفحل بازدياد وضعف الإمبراطورية الرومانية واضمحلالها ، حتى انتهي الأمر بأن حلت الكنيسة محل الإمبراطورية عندما غربت شمس الأخيرة في غرب أوربا ومما ساعد الكنيسة على تحقيق ذلك أنها حذت حذو الإمبراطورية الرومانية في تنظيماتها حتى أصبح الأساقفة يضطلعون بعبء التنظيم الإداري في أقاليم الإمبراطورية فضلا عن نهوضهم بمهام التنظيم الكنسي[1] .

والواقع أن الاعتراف بالمسيحية دينا رسميا للإمبراطورية كانت له نتائج بعيدة الأثر بالنسبة للكنيسة ونظمها ذلك أن التنظيم الكنسي امتاز بالبساطة المطلقة في العصر المسيحي الأول ، إذ لم يتعد الرابطة الدينية بين مجتمعات مسيحية مستقلة بعضها عن بعض ، لكل مجتمع منها أسقف يساعده فريق من القساوسة والشمامسة ، حقيقة أن بعض هؤلاء الأساقفة امتازوا عن زملائهم بحكم ما لكراسيهم من أهمية قديمة أو ثروة عظيمة أو مساحة واسعة ، ولكن مع ذلك لم توجد هيئة كنسية تمثل سلطة دينية ذات نفوذ فعال في الحياة العامة ، وقد ظهر على رأس الكنيسة عندئذ خمسة بطارقة في روما والقسطنطينية وأنطاكية وبيت المقدس والإسكندرية ، وهؤلاء يمكن تشبيههم بكبار الرؤساء الإداريين في الإمبراطورية الرومانية ، وكان يتبع كل واحد من هؤلاء البطارقة مجموعة من

[1] . شارل جنيبير ، المرجع السابق ، ص 113 .

رؤساء الأساقفة الذي يشمل نفوذ الواحد منهم عدة أسقفيات ، ثم الأساقفة الذين يشرف كل منهم على شؤون كرسيه الأسقفي وأخيرا يأتي قس الأبرشية في القرية ، وهكذا ظهر سلم كهنوتي متدرج يشبه إلى حد كبير سلم الوظائف الإدارية في الإمبراطورية الرومانية [1].

ثم كان أن أخذت الكنيسة المسيحية تحصل بصفتها راعية الديانة الرسمية للدولة ، على امتيازات خاصة من الحكومة الإمبراطورية ، وأهم هذه الامتيازات حق الحصول على الهبات والإعفاء من الضرائب فضلا عن قيام الأساقفة بالفصل في المنازعات التي تنشأ بين المسيحيين ، ولم يلبث أن ازداد نفوذ الأساقفة تدريجيا في أقاليمهم بفضل مكانتهم الدينية من جهة ومن ما جمعوه من صدقات وهبات من جهة أخرى ، لاسيما وأن الصدقات التي جاد بها الخيرون كان يتم توزيعها على الفقراء والمحتاجين عن طريق الأسقف نفسه ، مما أوجد طبقة من سواد الفقراء مستعدة لتنفيذ مشيئة رجال الدين وهكذا أخذت تزداد ثروة الكنيسة ، حتى امتلكت الأراضي والضياع الواسعة التي قام العبيد والأقنان بفلاحتها ، هذا فضلا عن الهبات التي أغدقتها الأباطرة بسخاء من جهة والتبرعات التي قدمها الأهالي عن طيب خاطر من جهة أخرى [2].

ولكن يلاحظ أنه إذا كان هذا التطور الذي مرت به الكنيسة في القرن الرابع امتاز بعمقه وسرعته ، حتى أدى إلى تحويلها من منظمة بسيطة ديمقراطية إلى هيئة وراثية ذات إدارة بيروقراطية مركزية ، إلا أن الكنيسة دفعت ثمنا باهظا مقابل ما أحرزته من عظمة ، كلفتها التخلي عن سياسة التسامح من جهة ، وانتشار الفساد من رشوة وسرقة وغيرها في جهازها من جهة أخرى ، ذلك أن النعمة الكبيرة التي أصبحت فيها الكنيسة أدت إلى اتساع الفجوة بين رجالها وجمهور المسيحيين ، وبعبارة أخرى فإن ازدياد ثروة رجال الدين أدى اختفاء روح الأخوة

[1] . شارل جنيبير ، المرجع السابق ، ص 147 .

[2] . نور الدين حاطوم ، تاريخ العصر الوسط في أوربة ، دار الفكر الحديث ، ج1، ط1، ص 63 .

والبساطة والمساواة وهي الروح التي ميزت الكنيسة في عصرها الأول ، وحلت محلها مسحة من التعالي والقسوة والتباعد ، هي النتيجة الطبيعية للغني المفرط المفاجئ ، وهكذا أخذ الأساقفة يتباعدون شيئا فشيئا عن رعاياهم ، وصار الواحد منهم يجلس على عرشه الأسقفي كما كان يفعل الحاكم الروماني من قبل ، ولم يلبث أن تضاءل قصر حاكم الولاية أمام القصر الأسقفي بعد أن تشبه الأساقفة بالأمراء وأحاطوا أنفسهم بالأتباع والموظفين [1] .

على أن القرن الرابع لم يشهد قيام النظام الكهنوتي للكنيسة وازدياد نفوذها السياسي فحسب ، بل شهد أيضا تطور اللاهوت المسيحي وتقدمه ، ذلك أن المسيح وضع للناس أسلوبا جديدا للحياة ، ولكنه لم يقم بأية محاولة لوضع لاهوت علمي منظم ، وطالما كان أتباعه ورسله يقومون بتقديم مواعظهم ونشر دعوتهم بين أناس غير مثقفين فإن الحاجة لم تكن ماسة لمثل هذا اللاهوت ، لأنه كان يكفي هؤلاء البسطاء أن يستمعوا إلى قصة المسيح وحياته ليتفهموا أسلوب المسيحية في الحياة ، ولكن انتشار المسيحية بين المثقفين ، الذين ألفوا التفكير الكلاسيكي ومرنوا طرق الجدل وأساليب المنطق والفلسفة أدى إلى تطور جديد في الدراسات اللاهوتية ، ذلك أن هؤلاء المتعلمين أخذوا يتساءلون عن العلاقة بين الله والمسيح ويحاولون تحديد هذه العلاقة ، كما استفسروا عن طبيعة الملائكة وعن المقصود بأن الخبز والنبيذ تحولا إلى لحم المسيح ودمه ، وسرعان ما أصبحت هذه المسائل تحتل جانبا كبيرا من تفكير المسيحيين عندما غدت المسيحية دينا رسميا للدولة ، مما استلزم وضع

[1] . نورمان كانتور ، التاريخ الوسط (قصة حضارة البداية والنهاية)، تر: قاسم عبده قاسم ، ج 1 ، ط 5 ، 1997 ، ص 48 .

دراسات لاهوتية يقنع بها المثقفون من معتنقي الديانة الجديدة ، وقد قام بهذه المهمة مجموعة من كبار مفكري المسيحية الذي يطلق عليهم عادة لقب آباء الكنيسة ، وأهمهم القديس كلمنت السكندري في القرن الثالث وأورجين (185 – 254م) وجيروم (331-420م) وأوغسطين (354-430م) إذ كان هؤلاء الأباء على معرفة بالفلسفة الكلاسيكية الأفلاطونية الحديثة ، فأفادوا منها في تبرير آرائهم والتدليل عليها وتقديم العقائد المسيحية في صورة علمية يتقبلها المثقفون ، هذا إلى أن هؤلاء الآباء عملوا على التوفيق بين تعاليم المسيحية من جهة ومطالب الدولة والكنيسة في عهدها الجديد من جهة أخرى [1] .

[1] . سعيد عبد الفتاح عاشور ، المرجع السابق ، ص 62 .

المبحث السابع : نـــشأة البـــــابوية

التيار الذي انساقت إليه الكنيسة ومحاكاته لنظم الحكومة الإمبراطورية تطلب قيام شخصية عظيمة على رأسها كما كان للإمبراطورية إمبراطور يتزعمها ، وهنا نلاحظ فارقا واضحا بين الشرق والغرب ففي الشرق أسلمت الكنيسة زمامها للأباطرة الذين ازداد تدخلهم في الشؤون الكنيسة وبخاصة فيما بين القرنين السادس والثامن وحتى السياسة الخارجية والداخلية لها وهكذا أصبح من العسير وقف تدخل الإمبراطور البيزنطي في شئون الكنيسة الشرقية،حتى إذا إمبراطور القسطنطينية يمثل نوعا من القيصرية البابوية أي الجمع بين السلطتين السياسية والدينية،ومن الواضح أن هذه السياسة وضع أسسها قسطنطين نفسه منذ اعترافه بالمسيحية وإنشائه القسطنطينية هذا إلى أنه استن سنة جديدة اتبعها خلفاؤه من الأباطرة الشرقيين[1]،هي قيام الإمبراطورية بدعوة المجامع الدينية العامة لبحث مختلف المشاكل المتعلقة بالكنيسة والعقيدة المسيحية،أما في الغرب فإن الوضع اختلف عن ذلك كثيرا لأن الإمبراطورية الغربية أصبحت بعد تقسم العالم الروماني ضعيفة لا تستطيع أن تفرض سيطرتها على الكنيسة والدولة جميعا كما حدث في الشرق،وسرعان ما وجدت الكنيسة الغربية ضالتها في شخص أسقف روما الذي تحول كرسيه إلى بابوية لها السيادة العليا على الكنيسة في مختلف بلدان العالم الغربي [2] .

وليس من العسير علينا أن نكتشف العوامل التي هيأت لأسقف روما هذه الأهمية والزعامة على غيرها من أسقفيات الغرب ذلك أنه من المعروف أن أهمية الأسقف تتناسب عادة والأهمية السياسة والاقتصادية للمدينة التي يقوم فيها كرسيه الأسقفي ، وإذا كان الشرق الروماني غنيا بمدنه الهامة التي صارت مراكز لكراسي دينية كبرى مثل الإسكندرية وبيت المقدس وقيصرية وأنطاكية والقسطنطينية فإن الغرب لم يوجد به في هذه المرحلة

[1] . غاريمال بيار وآخرون، موسوعة تاريخ أوروبا العام، تر أنطوان الهاشم، منشورات عويدات ، بيروت ،1998 م، ص 90 .

2 . نور الدين حاطوم ، المرجع السابق ، ص 72 .

الأولى من تاريخ المسيحية سوى روما و قرطاجة ، ومهما يبلغ أمر هذه الأخيرة ، فإنها لا ترقى إلى مكانة روما ذات الماضي العريق والشهرة الواسعة والصيت الذائع ، لهذا ليس من الغريب أن يتمتع أسقف روما هذه بمكانة خاصة مستمدة من أهمية مدينته ، حتى استغل أساقفة روما هذه الأهمية والمكانة في تحقيق نوع من السمو أو الزعامة على بقية أسقفيات الغرب ، هذا مع ملاحظة أن أساقفة روما لم يتمكنوا من تحقيق هذه السيادة في سهولة إذ تعرضوا لكثير من ألوان المعارضة والمقاومة من بقية أساقفة الغرب لاسيما أساقفة قرطاجة .

أما إذا انتقلنا إلى التنافس بين روما والقسطنطينية حول الزعامة الدينية على العالم المسيحية [1]، فإن القسطنطينية اعتمدت على أنها مركز الأباطرة ومحل العالم المسيحي ، كما كان لإمبراطورها الزعامة السياسية ولكن هذا الرأي صادف معارضة من القائلين بأن تراث المسيحية انتقل عن طريق الرسل والحواريين وظل محفوظا في الكنائس التي أسسوها وبخاصة في أنطاكية والإسكندرية وروما ، وهنا تبدوا القسطنطينية مفتقرة إلى مثل هذا التشريف ، لأن أحدا من الرسل لم يشرفها بالذهاب إلى موضعها أو الاستشهاد قربها أو تأسيس كنيسة في منطقتها ، لأن القسطنطينية نفسها لم تؤسس إلا في القرن الرابع أما في روما فيكفيها فخرا أنها ارتبطت ارتباطا أبديا بذكرى القديس بطرس الذي اتخذ منه المسيح صخرة بنى عليها كنيسته ، فضلا عن أنه أعطاه مفاتيح ملكوت السموات ، وإذا كان بحكم هذا التشريف يعتبر زعيم الحواريين ومقدم الرسل ، فإن خلفاءه أساقفة روما أحق الناس بأن يرثوا زعامة العالم المسيحي .

على أن تذرع أساقفة روما بهذه الحجج و الأساند شيء ، ومحاولة فرض سيطرتهم على العالم المسيحي شيء آخر ، والواقع أننا لا نعرف عن أساقفة روما في القرنين الأول والثاني أكثر من أسمائهم ، ولم يكن ذلك إلا

[1] . نورمان كانتور ، المرجع السابق ، ص 49 .

بعد عهد قسطنطين عندما أخذت المراجع تشير إلى بعض البابوات الذي لعبوا دورا فعالا في توجيه سياسة الكنيسة ومن هؤلاء البابا داماسوس الأول (366-384م) الذي كتب مؤلفا استعرض فيه مكانة كرسي روما الأسقفي وأكد سيادة البابوية وسموها ، كذلك عهد هذا البابا إلى جيروم بترجمة الإنجيل إلى اللاتينية ، أما خليفته البابا سيركيوس (384-399م) ، فترجع إليه أولى المراسيم البابوية التي وصلتنا ، كما بقيت في عهده بعض الخطابات الرسمية تناولت رسائل معروضة على أسقف روما للبت فيها وبعد ذلك أشتهر البابا ليو الأول أو العظيم (440 – 461م) الذي تم في عهده الاعتراف بسيطرة البابوية على كافة الكنائس المحلية في الغرب [1] .

وفي هذه الأثناء كان الشرق البيزنطي مصرا على عناده ، فاستمر الأباطرة يدعون إلى المجامع الدينية للنظر في المسائل الدينية المعلقة ، كما أخذوا يساندون مبدأ المساواة المطلقة بين روما والقسطنطينية من حيث المركز الديني وقد حاول زعماء الكنيسة الشرقية في مجمع خلقدونيا 451 م تأكيد هذه المساواة في المكانة والامتيازات بين كرسي روما وكرسي القسطنطينية ولكن مندوب البابا ليو الأول عارض هذا المبدأ واستشهد ببعض قرارات مجمع نيقية على أسبقية كرسي روما ، وهكذا تمسك باباوات روما دائما بفكرة أنهم خلفاء القديس بطرس حتى اعترف بزعامتهم جميع أسقفيات الغرب في القرن الخامس ولم تعارضه سوى الكنيسة الشرقية ، وفي سنة 455 م أصدر الإمبراطور فالنشيان الثالث إمبراطور الغرب مرسوما يقضي بخضوع جميع أساقفة الغرب للبابا هنا نشير إلى وجود عوامل أخرى ثانوية ساعدت على تحقيق سيادة البابوية ، منها ازدياد الالتجاء إلى أساقفة روما لاستئناف الأحكام القضائية التي أصدرتها المجامع الإقليمية أو صغار الأساقفة مما جعل أسقف روما يبدوا بمثابة الحكم الأكبر والسيد الأعلى ، ومن هذه العوامل أيضا عظم ثروة أسقفية روما وتعاقب عدد من

[1] . سعيد عبد الفتاح عاشور ، المرجع السابق ، ص 65 .

ذوي الشخصيات القوية على كرسيها الأسقفي مثل ليو الأول وجريجوري الأول ، هذا فضلا عن أن سقوط الإمبراطورية في الغرب سنة 376 م ترك البابا وحيدا لا ينافسه سيد سياسي في الغرب ، في الوقت الذي كان بعيدا عن سلطان إمبراطور القسطنطينية ونفوذه في الشرق [1] .

وهكذا سارت الأمور حتى تحققت للبابوية سيادتها الفعلية في صورة عملية عالمية على عهد البابا جريجوري الأول (590-604م) الذي دانت لنفوذه الكنيسة الغربية بأكملها وذلك بوصفه خليفة للقديس بطرس ، أما الشرق فقد ظل على عناده مستقلا بإمبراطوريته وكنيسته عن الغرب ، وهنا نلاحظ أن الخلاف حول تفسير بعض المسائل الدينية كان دائما من العوامل التي زادت من اتساع الفجوة بين الكنيستين الشرقية والغربية ، ومن أمثلة ذلك الخلاف الذي قام حول تفسير طبيعة المسيح ، إذ دان مجمع أفسس سنة 431 م الرأي القائل بفصل طبيعة المسيح إذ أدان مجمع أفسس ومنذ ذلك الوقت ظهرت جماعة من رجال الكنيسة يتزعمهم أقطاب الكنيسة المصرية تمسكوا بمبدأ الطبيعة الواحدة للمسيح ومن ثم أطلق على هذا المذهب والطبيعة الواحدة ، وعلى الرغم من هذا أن مجمع خلقدونيا سنة 451 م أدان مذهب الطبيعة الواحدة وأخذ برأي البابا ليو الأول بأن للمسيح طبيعيتين فهو اله من طبيعة أبيه وبشر من طبيعة أمه – وهو المذهب الملكاتي- إلا أن هذه المشكلة استمرت قائمة لتمثل سببا جديدا للخلاف الديني والتباعد بين الشرق والغرب [2].

[1] . توينبي أرلوند ، تاريخ البشرية ، ترجمة نيقولا زيادة ، ج 1 ، مكتبة الأهلية للنشر والتوزيع ، بيروت ، 1958م ، ص 52 .

[2] . سعيد عبد الفتاح عاشور ، المرجع السابق ، ص 65 .

الفصل الأول : عـــصر المـــجامع الـــــدينية

المبحث الأول : مفهوم المجامع الدينية .

المبحث الثـــــاني : مجمع نـــــيقية .

المبحث الثالث : مجمع القسطنطينية .

المبحث الرابع : مجـــمع أفـسس .

المبحث الخامس : مجمع أفسس الثاني .

المبحث السادس : مجمع خلقُدونيا .

المبحث الأول : مفهوم المجامع الدينية

المعتقد الأول في المسيحية يختلف عن باقي العقائد **"التأليه"**بالإضافة إلى القول بالتوحيد في التثليث والتثليث في التوحيد وهذا المعتقد أثار جدلا كبيرا أفرآراء ً ا ونظريات لا تعد لكثرتها،وإن كانت الكنيسة قررت عقيدة التثليث بعد جملة من المجامع وأثارت الجدل بين أنصار التثليث لعدم اتفاقهم ، فقبل أن يتجه التفكير المسيحي نحو مفهوم ثالوث الشخصية الإلهية و لتبرير جوهر الفرد برزت تجارب عديدة كمحاولة لإعادة المعدن الأصلي للعقيدة ، لم يترك الكثير منها سوى آثار غامضة مبهمة ومن أهم المحاولات وأشهرها تجربة آريوس من خلال معارضته التثليث ، لم تفلح ولم تسكت الكنيسة هذه الآراء الرافضة التي كانت تبرز من حين لآخر، والتي سرعان ما تقف ضدها وتتهمها بالهرطقة ، والمجامع حسب الدراسات الكنسية ،تنقسم إلى نوعين رئيسين هما [1]:

أولا ـ المجامع العامة :

وهي التي يجتمع فيها جميع الأساقفة ليفحصوا المسائل الكنسية مشتركين في حل مشاكلها،ولقد حددت القوانين أن تكون المجامع العامة دفعتين في كل عام ، الأول في بداية الخريف والثاني مع نهاية الربيع ويجوز لهذه المجامع العامة أن تنعقد في حالات استثنائية في غير هذين الميعادين ، إذا دعت الضرورة لذلك .

ثانيا ـ المجامع المكانية :

وهي التي يجتمع فيها الأسقف والقساوسة والشمامسة في مركز كل أبروشية لتدبير أمورهم الخاصة ، ويجوز انعقاد هذه المجامع يوميا عدا أيام الآحاد و يشير المؤرخ البروتستانتي"م.ستيفاني" في تاريخه أن الأساقفة كانوا يحافظون كل في أبروشيه الخاصة على عقد هذه المجامع المحلية : فيقول في تاريخ القرن الرابع " والأساقفة كل

[1] . متولي يوسف شلبي ، أضواء على المسيحية ، الدار الكويتية للنشر والطباعة والتوزيع ، ص 93 .

واحد في أبروشيته الخصوصية أو مدينته كانوا يدبرون ويرتبون كل أمور الكنيسة ، ويجتمعون مع قساوستهم للمشورة ، ثم يعرضون ما يقررونه على الشعب للعمل به ".

إضافة إلى ذلك فإن المجامع الدينية تمثل ركنا هاما من أركان التنظيم الكنسي في العصور الوسطى ، والواقع أن انتشار المسيحية وما صاحبه من اتساع نفوذ الكنيسة استلزم عقد الكثير من المجامع الدينية منذ القرن الرابع ميلادي لحل المسائل المعقدة التي صاحبت انتشار المسيحية من جهة ولتنظيم شؤون الكنيسة ،[1] ولم تكن أول من إبتكر فكرة عقد المجامع أو صاحبة الفضل في ظهورها،لأنها استمدت هذه الفكرة من سوابق يهودية ووثنية .

ومعظم المراجع التاريخية قد ركزت اهتمامها على المجامع المسكونية ، إضافة إلى هذه المجامع يوجد عدد كبير من المجامع الدينية ذات الأثر الكبير في التاريخ الأوربي بوجه عام والتاريخ الكنسي بوجه خاص ، ومن هذه المجامع ما اتخذ طابعا عاما عالميا تحضرها الأساقفة من جميع أنحاء العالم المسيحي ليتدارسوا سويا المشاكل التي واجهتهم في مناطق نفوذهم ، أو ليبحثوا أوجه الخلاف فيما بينهم ويزيلوا ما قد يكون هناك من سوء تفاهم عن طريق الحجة والإقناع وسوف نركز اهتمامنا على المجامع المسكونية[2] .

[1]. *Strauss Leo : La critique de la religion chez Spinoza on les fondements Spinozistes de -la bible, recherche pour une vue étude du « traité- theologico- politique ».*

[2] . سعيد عبد الفتاح ، المرجع السابق . ص 45 .

المبحث الثـــــاني : مجـــمع نـــــيقية [1]

توجت جهود بولس التبشيرية بنجاح كبير بعد موته بأقل من ثلاثة قرون من الزمن عندما أصدر الإمبراطور قسطنطين في العام 313 م ، مرسوم التسامح مع ديانة بولس المسيحية فأصبحت بذلك الأديان الشرعية في الإمبراطورية ثم في العام 325 م أراد الإمبراطور أن يضع حدا للنزاع الذي انتشر في العالم الكنسي بين المسيحية وبين النصرانية،وخوفا من نشوب حرب أهلية بين الفرقاء استدعى زعماء الكنائس ورجال الدين إلى مؤتمر عقده في نيقية [2](إزنيق التركية حاليا) تحت رعايته الشخصية مع أنه لم يكن وقتئذ قد اعتنق المسيحية وإنما كان وثنيا هلنستيا،لكنه أراد توحيد الجماعات الدينية تحت زعامة المسيحية الهلنستية إذ كانت أقرب إلى مفاهيمه ومعتقداته فقد كان هو نفسه من عبدة إله الشمس الروماني هيليوس .

غير أنه كانت لدى قسطنطين دوافع أخرى لا تقل أهمية ، ذات علاقة بتوطيد حكمه ، جعلته يقبل المسيحية فقد كتب يوزيبيوس أسقف قيسارية (260-339م) وصاحب المؤلف الشهير تاريخ الكنيسة والذي كان من أهم الشخصيات التي ساندت الإمبراطور في مجمع نيقية ، كتب أن الإمبراطور ممثل الله على الأرض ، وأنه

---

[1] . متولي يوسف شلبي ، المرجع السابق ، ص 93 وينظر محاضرات فاضل سليمان – تاريخ المسيحية –

[2] . هي العاصمة الثانية لولاية بيثنية وتقع في الشمال الغربي من أسيا الصغرى ، وقد تهدمت منذ زمن بعيد ولم يبق منها سوى أطلال بالية ، وفي موضعها الأن نجد قرية (أسنيك) التركية . ويبدو أن نيقية هذه كانت على شيء من العظمة والجمال إذ يصفها دين ستانلي فيقول :(إذا نزل السائح من المنحدرات العالية ذات الغابات من إحدى جبال بيثينية متجها الى سفح تلك الجبال حيث يغطي السهل سحب كثيفة عند بزوغ الفجر ، فإنه لا يلبث أن يلحظ النقطتين اللتين تميزان مدينة نيقية إنه يشرف من أعلى على بحيرة طويلة تكتنفها الأرض من جميع جهاتها وتتصل من طرفها الغربي ببحر مرمرة ، فهي إذن تكاد تملأ الوادي كله بالشكل الذي يمتاز به التكوين الجغرافي لذلك الجزء من أسيا الصغرى) . ويظهر للرائي عند الجزء الأعلى من البحيرة فضاء مستطيل الشكل دلالة واضحة ، لاتترك سبيلا للشك لمؤسسي المدينة الأصليين ، لأن هذا الرسم هو الذي كان يختاره الإسكندر ومن سار على نهجهم ، فالإسكندرية وأنطاكية ودمشق وفيلادلفيا ، كلها أنشئت على طراز واحد وهو عبارة عن مربع تخترقه أربعة طرق مستقيمة يزين جانبي كل منها صفين من الأعمدة) وهو مطابق لوصف سترابون لمدينة نيقية عندما أسسها ليزماخوس وأعاد بنائها أنتيجونو .

بصفته كلمة الله يجسد إرادة الله في الخليقة ، وبالتالي في حكم العالم المتمدن ، وقد زادت هذه العقيدة ، التي تلقفها قسطنطين بلهفة ، في الهالة الدينية الضخمة التي كانت للأباطرة إبان العهد الوثني ، ثم ضمنتها ووطدتها المسيحية للأباطرة ، وفي ذلك كتب وايثهيد (لقد انتصر الأباطرة عندما قبل الغرب بالمسيحية ، إذ احتفظوا بوثنية المصريين والفرس التي تصور الله متجسدا في الحكام ،جل ما في الأمر أن الكنيسة أعطت الله الصفات التي كانت للأباطرة حصرا) [1].

ثم إن قسطنطين طرد من المؤتمر رجال الدين من النصارى الذين رفضوا الموافقة على العقيدة الرسمية التي سميت فيما بعد "**عقيدة مجمع نيقية** " والتي جسدت بقرارها عقائد بولس ، وهكذا صدرت بنتيجة المؤتمر مجموعة من العقائد الرسمية التي أوجب الإمبراطور اعتناقها على الجميع ، وبفضل هذا المؤتمر أصبحت عقائد بولس ديانة رسمية في العالم الرومي اليوناني أما الذين رفضوها من النصارى فقد أصبحوا بنظر الدولة والكنيسة الرسمية عبارة عن "هراطقة" وبدأت ضدهم مرحلة الإضطهادات القمعية ، وأحرقت كتبهم وكتاباتهم ومعابدهم .

وهكذا لم تصمد كتابات النصارى تحت وطأة الإضطهادات الدينية التي تعرضوا لها من الكنيسة غير أن مقتطفات من عقائدهم لا تزال موجودة في كتابات أعدائهم ، وهم بصفتهم من صحابة عيسى ومعاصريه وتابعيه كانت معرفتهم برسالته وتعاليمه أفضل بكثير جدا من معرفة بولس بها ، ومن ذلك أنه لم تكن لديهم أية فكرة أو اعتقاد مهما يكن عن تأليه المسيح ، آمنوا بالمسيح كنبي يهودي عظيم بشر لا غير متمسك بالشريعة أما التشويه الذي لحق برسالته في وقت لاحق فقد وضعوا كامل وزره على بولس [2].

[1] . جرجس الخضري ، تاريخ الفكر المسيحي ، دار الثقافة للإنتاج والتوزيع ، ص 636 .
[2] . نفسه ، ص 637 .

- **أسباب انعقاد مجمع نيقية:**

كانت هناك أسباب عديدة ، تتطلب عقد مجمع عام لإيجاد حل للمشاكل ، بعد أن استراحت الكنيسة قليلا من عصور الاضطهاد المتعاقبة [1]، وما أن جاء السلام حتى فكرت الكنيسة قليلا فيما خلفته العصور الماضية من مشاكل هامة تنحصر فيما يلي :

- **تحديد الاحتفال بيوم عيد القيامة :**

بدأ الخلاف بخصوص تحديد يوم عيد القيامة بين آسيا الصغرى وبين روما عندما أعلن بوليكربوس أسقف أزمير ضرورة الاحتفال بذكرى الصليب في يوم 14 نيسان العبري والقيامة في يوم 16 منه (وهما التاريخان اللذان تمت فيهما أحداث الصلب والقيامة) ، وأما الكنيسة القبطية فكانت تعتبر الأهمية في المحافظة على الأيام عينها من الأسبوع التي تمت فيها هذه الحوادث لا في موعدها من الشهر العبري ، بمعنى أنها كانت تحافظ على أن يكون ذكرى "الصلب" يوم الجمعة والقيامة يوم الجمعة ، وكان أساقفة روما وأورشليم وأنطاكية يسيرون بحسب هذه القاعدة عينها .

- **إعادة معمودية " الهراطقة" :**

هناك مسألة ثالثة هامة ظهرت في الكنيسة في القرن الثالث تلك هي إعادة معمودية "الهراطقة" وقبول العائدين منهم إلى الكنيسة .

[1] . كيرلس الأنطوني ، عصر المجامع ، مكتبة المحبة ، ط1 ، ص 36 .

ولكن السبب المباشر لعقد مجمع نيقية هو ما جاء به أريوس من تعاليم جديدة وبدء ينشرها في كل مكان وذلك بما عرف عنه من قوة في الدعاية والخطابة في الحديث والجاذبية في البحث و الشرح وسرعان ما كون له مجموعة من الأنصار الكثيرين ومن الرجال ذوي المكانة السامية[1] ، ومن أهم التعاليم التي جاء بها أريوس هو نفي صفة اللاهوت عن السيد المسيح وذكر أنه مخلوق وغير مساو للأب في الجوهر [2] .

- **الشخصيات الهامة في مجمع نيقية :**

لا مناص لنا ونحن نتحدث عن مجمع نيقية أن نتحدث عن أهم الشخصيات المشاركة في هذا المجمع والتي كان لها دورا كبيرا فيه ومن أهم الشخصيات نذكر :

✓ **إثناسيوس الرسولي** : كان من أهم المعاديين للأريوسيين ، حيث عندما كان الناس يتجهون ناحية الأريوسية كان يقف وحيدا معاديا لها بتكريس وقته وماله من أجل ذلك ، وقد ولد أثناسيوس عام 268 م بمدينة الإسكندرية من أبوين وثنيين ، ثم مات والده وهو صغير السن فتكفلت أمه بتربيته ، على أنه كان يميل منذ صغره إلى معاشرة المسيحيين ، فاستطاع بذلك أن يعرف شيئا عن الديانة المسيحية ومبادئها ، وإلتحق أثناسيوس بالمدرسة اللاهوتية بالإسكندرية وهنا ظهرت مواهبه وفاق كافة أترابه في العلوم اللاهوتية ، ولما لمس

[1] . ولد أريوس في قرين بشرق ليبيا عام 270م درس الكثير من العلوم والمعارف ثم انتقل إلى الإسكندرية حيث التحق بمدرستها اللاهوتية المرقسية فأظهر في دراسته نبوغا كبيرا ، وبعد ذلك بدء يسعى لنوال درجات الكهنوت،خالف تعاليم الكنيسة التي دعت إلى تأليه السيد المسيح .

[2] . كيرلس الأنطوني ، المرجع السابق ، ص 38 .

البابا اسكندر ما وصل إليه أثناسيوس من علم رسمه شماسا عام 319م ثم رئيسا للشمامسة ثم عينه مساعدا له ، ولما عقد مجمع نيقية اصطحبه البابا اسكندر معه وكان له أثر كبير فيما اتخذه المجمع من قرارات[1] .

✓ **الإمبراطور قسطنطين** : هو الذي دعا لعقد مجمع نيـقية ، وكان لا يزال وثنيا عندما نودي باسمه ملكا سنة 306م بعد وفاة والده ، وهنا يروي لنا أوسابيوس القيصري أن الملك أراد أن يستمد عون إله ما وكانت آلهة الرومانيين كثيرة ، فتحير فيمن يطلب النجدة منها ولم يكن يعرف إله المسيحيين بعد ، ماعدا أنه يوقرهم ويحترم دينهم ، وبدأ يميل نحو المسيحية وفي السنة التي غير فيها مذهبه ودخل المسيحية 313م و أصدر مرسوم التسامح الديني (مرسوم ميلان) .

✓ **إنسطاسيوس أسقف أنطاكية** : وكان معه يوسابياس أسقف قيصرية ومكاريوس أسقف أورشليم وبولس أسقف قيصرية الجديدة وأسبريدون أسقف قرطبة ، وحضر من أساقفة الغرب أوسيوس أسقف قرطبة وبعض أساقفة ايطاليا وبلاد الغال وإسبانيا وبريطانيا ، وتعذر على أسقف روما الحضور لكبر سنه فأناب عنه القسين وايتسن و وياكندس ، وحضر أيضا أريوس وبعض أنصاره ، وبلغ عدد الحاضرين 318 أسقفا منهم 310 من

[1] . كيرلس الأنطوني ، المرجع السابق ، ص66 .

الشرق و8 من الغرب ، وقد حضر إلى نيقية الكثير من الفلاسفة الوثنيين والمسيحيين ليتمتعوا بمشاهدة المجمع وما سيدور فيه من نقاش [1] .

ويمكن تلخيص ما جاء من قرارات في مجمع نيقية مايلي :

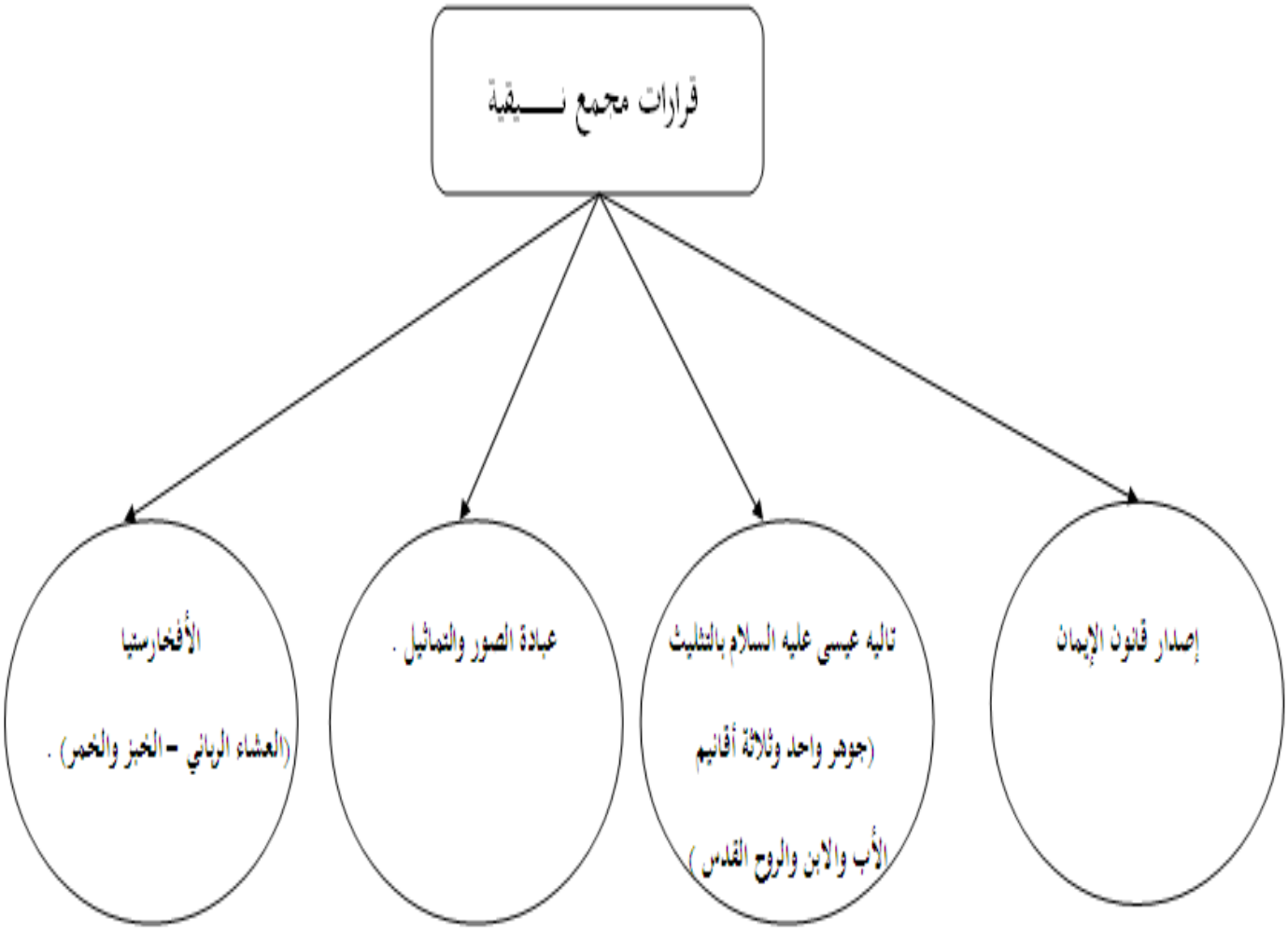

[1] . كيرلس الأنطوني ، المرجع السابق ، ص 80 .

المبحث الثالث : مجمع القسطنطينية

بعد عقد مجمع نيقية اشتد التنافر بين أتباع آريوس من جهة وأصحاب الرأي الأخر من جهة ثانية وعمّ جميع الأوساط الشعبية رجالا ونساء خصوصاً بعد أن تسلّم الحكم في الشرق ثيوذوسيوس الكبير ، وذلك في 379 م ، فالمجمع المسكوني الثاني هو نتيجة طبيعية لمجمع نيقية ، وذلك لأن الآريوسيين الذين قالوا "أن الابن جاء من العدم"كان من البديهي أن يعتقدوا بمخلوقيّة الروح القدس أيضا، يشير ثيوذوريتوس في "التاريخ الكنسي" بأن مقدونيوس "رفعه الآريوسيين إلى كرسي القسطنطينية سنة 342م ظانين انه واحد منهم ، لأنه كان يجدّف على الروح القدس ، غير أنهم عزلوه لأنه لم يحتمل إنكار ألوهية الإبن ،كما تعود أول محاولة لشرح الروح القدس إلى القديس" باسيليوس الكبير" الذي وضع كتاباً في العام 375 م بعنوان " في الروح القدس" استند فيه على الكثير من حجج أثناسيوس الكبير في رسائله إلى سيرابيون أسقف قُو ُ يس (355-361م)[1]، ذلك أن ثمة فئةً في مصر كانت تحارب "ألوهية" الروح القدس أسماها أثناسيوس "التروبيك" نسبة إلى كلمة يونانية تعني اللعب على الألفاظ وتفسير الآيات بغير موضعها،اعتبر المؤرخان سقراط وصوزمينس وأيضاً القديس إيرونيموس وروفينوس أن مقدونيوس هو مؤسس بدعة "التربيلوغل ّ" سبب ذلك هو أن أعوانه انضمّوا إلى هؤلاء المجدفين بعد خلع مقونيوس عن عرش القسطنطينية لا يعلم مؤرخو اللاهوت الشيء الكثير عن جماعة التروبيك ومعتقداتهم ، غير أنهم يعتقدون بأن المتطرفين منهم لم يكتفوا بإنكار ألوهية الروح القدس وإنما رفضوا أيضاً

[1] . *Dedieu Jean Pierre : L'inquisition , imprimerie Brodad et taupin , France , 1987, p 54 .*

مساواة الابن و الآب في الجوهر ،كل هذه المعطيات أدت إلى التعجيل بعقد مجمع القسطنطينية الذي سنسرد أسباب انعقاده كما تشير الدراسات التاريخية [1].

- **أسباب انعقاد مجمع القسطنطينية :**

بعد انتهاء أعمال مجمع نيقية ظهرت بعض التعاليم والأفكار الجديدة ، التي اعتبرها الأساقفة تعاليم فاسدة فقاموا بتفنيدها وبدأت هذه التعاليم في الانتشار بين الأشخاص البسطاء ، فكان ذلك سببا في الدعوة لعقد مجمع مسكوني ثان للفصل في هذه التعاليم والأفكار قبل انتشارها ، ولقد كان على هذا المجمع المسكوني الثاني أن يبحث ويحكم في ثلاث تعاليم جديدة عرضت عليه ، نعرض منها :

✓ **تعاليم أبوليناريوس** : كان أسقفا على مدينة اللاذقية بالشام بعد أن أكمل دراسته الفلسفية ، واشتهر بعدائه للأريوسيين وبشدة دفاعه عن لاهوت السيد المسيح ، غير أنه جاء بأفكار جديدة حيث قال بأن لاهوت السيد المسيح قد قام مقام الروح الجسدية وتحمل الألم والصلب والموت مع الجسد ، وكان يعتقد أيضا وجود تفاوت بين الأقانيم الثلاثة ، مناديا بأن الروح عظيم والابن أعظم وأما الأب فهو الأعظم ، ولما عقد مجمع القسطنطينية المسكوني الثاني بحث هذه المسألة .

✓ **تعاليم أوسابيوس** : كان يعتقد بأن الثالوث أقنوما واحدا ، ظهر في العهد القديم كأب وصار إنسانا في العهد الجديد بصفة ابن وحل على الرسل بصفة الروح القدس ، وقد نوقشت هذه الأفكار في مجمع القسطنطينية بقوة .

[1] . كيرلس الأنطوني ، المرجع السابق ، ص 150 .

✓ **تعاليم مكدونيوس** :كان من أتباع أريوس ، وكان أسقفا على القسطنطينية سنة 343م قبل أن يعزل من كرسيه سنة 360م ، وقد جاء بأفكار جديدة مفادها أن الروح القدس عمل إلهي منتشر في الكون وليس بأقنوم متميز عن الأب والابن بل هو مخلوق يشبه الملائكة ولكنه ذو رتبة أعلى منهم ، ولما سمع الإمبراطور ثيودوسيوس بانتشار هذه الأفكار وافق على عقد مجمع مسكوني في مدينة القسطنطينية لمحاربة هذه الأفكار[1] .

- **الشخصيات المشاركة في مجمع القسطنطينية** :

اجتمع في المجلس المسكوني الثاني كثير من القديسين ونذكر منهم[2] :

✓ **الأنباتيموثاوس البابا الإسكندري** : تتلمذ على يد أثناسيوس بعد أن أتم علومه بالمدرسة اللاهوتية بالإسكندرية ، ولقد عقد المجمع المسكوني الثاني بالقسطنطينية حضره مع كثير من الأساقفة ، وكان ذا مركز هام في هذا المجمع ، حتى أعتبر رئيسا له ، ولقد صرف هذا البابا أوقات فراغه في كتابة تواريخ القديسين ، كما وضع قوانين للكهنة وفي أيامه بنيت كنائس كثيرة .

✓ **الأنبا ملاتيوس الأنطاكي** : ولد في أوائل القرن الرابع في مدينة تدعى ملاتيا من بلاد أرمينيا ، ولما عقد المجمع المسكوني الثاني في مدينة القسطنطينية ترأّسه الأنبا ملاتيوس ، وعندما وقع بصر الإمبراطور ثيودسيوس قال للقساوسة جميعا إني قد رأيت هذا الشيخ الوقور في الرؤيا يضع علي الرداء الملكي وقد توفي ملاتيوس عام381 م قبل أن ينتهي المجمع من عقد جلساته ووضع قراراته .

✓ **القديس غريغوريوس** : ولد ببلدة تدعى أرينار بآسيا الصغرى وتعلم بمعاهد قيصرية فلسطين ، ثم أرسله والده إلى الإسكندرية وأثينا ليكمل دراسته ، وهناك درس اللاهوت والفلسفة وكان شغوف بقراءة الكتب

[1] . كيرلس الأنطوني ، المرجع السابق ، ص 151 .

[2] . جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج2 ، دار الكتاب اللبناني، 1982 م، ص 54 .

المقدسة وتفسيرها ، ولما عقد مجمع القسطنطينية كان أحد أعضائه ، طلب الإمبراطور ثيودوسيوس من الآباء تثبيته على كرسي القسطنطينية ، وكاد يتم هذا الأمر لولا وفاة ملاتيوس بطريق أنطاكية الذي كان يعاضده ومعارض لأساقفة مصر .

✓ **القديس غريغوريوس** : شارك في مجمع القسطنطينية وبعد انتهاء جلسات المجمع عاد إلى مقره وظل يخدم شعبه إلى أن توفي في أواخر القرن الرابع الميلادي ، بالإضافة إلى 150 أسقفا ، نذكر منهم تيموثاوس البابا السكندري وكيرلس أسقف أورشليم وملاتيوس أسقف أنطاكية وبيلاجيوس أسقف اللاذقية ثيوذورس أسقف طرطوس وأكاكيوس أسقف حلب ، ولم يحضر من أساقفة الغرب أحدا رغم توجيه الدعوة إليهم ، وحتى داماسوس أسقف روما لم يحضر كما أنه لم يرسل نوابا عنه غير أنه خضع للقوانين التي أصدرها المجمع واحترم قراراته .

خرج مجمع القسطنطينية بنتائج عدة أهمها تكريس عقيدة الثالوث "المقدس" ووافق على جميع تعاليم وقرارات المجمع المسكوني الأول ، وفي هذا المجمع صيغت عقيدة ألوهية الروح القدس التي ذكرت في "الكتاب المقدس" صيغت ضمن قانون الإيمان ، وهكذا صارت الكنيسة المسيحية تتميز عن سائر البدع التي رفضت الإذعان لقرارات المجامع المسكونية وبشكل خاص بإيمانها بعقيدة الثالوث "المقدس" التي هي عقيدة أساسية في الكنيسة المسيحية [1]، وقد رفضت طائفة الآريوسيين بصورة تامة ونهائية وأخذت هذه الطائفة تبدأ بالاضمحلال نظرا للإضطهاد الموجه ضدهم ولم تلبث أن تلاشت بصورة رسمية في تاريخ الكنيسة وإن لم تختف بصورة نهائية من التاريخ.

[1] . عبد المسيح اسطفانوس ، المسيحية والمسيحيون ، دار الخير للنشر والتوزيع ، ط1 ، ج1 ، ص 45 .

المبحث الرابع : مجـــمع أفــسس[1]

- **أسباب انعقاد المجمع :**

لم يمض أكثر من نصف قرن من الزمان على انتهاء مجمع القسطنطينية ، حتى ظهرت مجموعة من التعاليم الجديدة ، ما استدعت عقد المجمع المسكوني الثالث لمناقشة هذه الأفكار والتعاليم ، أبرزها أفكار شخصية " نسطوريوس " التي أثرت في تاريخ الكنيسة يرى بعض مؤرخي اللاهوت اليوم أن أفكار نسطوريوس لم تكن خاطئة ، و أن خلافه مع كيرلس هو خلاف لفظي ، وان ما رفضه هذا المجمع من الأفكار النسطورية ليس تعاليم نسطوريوس شخصيا ، بل التفسير الذي أعطاه كيرلس لتلك التعاليم ، بحيث يمكن القول أن الأزمة النسطورية أرغمت الكنيسة على حسم النزاع وتوضيح إيمانها بوحدة الشخص في المسيح ، ففي السنة الـ .431م دعا الإمبراطور ثيوذوسيوس الثانيإلى مجمع مسكوني عُقد في أفسس [2]، حضره مئتا أسقف أعلنوا جميعا موافقتهم على رسالة كيرلس التي بعثها إلى نسطوريوس ومما جاء فيها: "أننا نعترف بأن الكلمة صارت و احدة مع الجسد إذ اتحد به اتحادا شخصيا، فنعبد الشخص الواحد الابن والرب يسوع المسيح، إننا لا نُفرق بين الله والإنسان ولا نفصل بينهما وكأنهما اتحدا مع البعض اتحاد كرامة وسلطة ولا ندعو الكلمة المولود من الله مسيحا آخر غير المسيح المولود من امرأة ، عقيدة الثالوث هي الصواب " إذ وقّع حوالي الـ187 أسقفاً على قرار المجمع القاضي بتجريد نسطوريوس من "الكرامة الأسقفية ومن درجة الكهنوت" ثبَّت هذا المجمع أيضا الحكم على بعض الأفكار التي دانتها بعض المجامع المكانية[3]، مثل أفكار "بيلاجيوس" ورفيقهكَلَستوس" حكم عليهما مجمع في

[1] . أفسس مدينة واقعة واقعة على ضفاف كايستر الذي يجري في الشمال الغربي من أسيا الصغرى ، وكانت قديما من أهم المدن بحريا لأحتوائها على ميناء كبير .

[2] . *Dedieu Jean Pierre : L'inquisition, imprimerie Brodad et taupin,p 54.*

[3] . عبد المسيح اسطفانوس ، المرجع السابق ، ص 50 .

قرطاجة، الذي بدأ خلاص الإنسان للإرادة والجهاد البشريين منكر َ ي ْن دور النعمة "الإلهية" في هذا الخلاص ومن ثم أصدر المجمع ثمانية قوانين .

رافقت مجمع أفسس أحداث معقدة ، وذلك أن الوفد الإنطاكي المؤلف من 33 أسقفا والذي يرأسه يوحنا بطريرك أنطاكية كان قد تأخر بضعة أيام عن موعد افتتاح المجمع ، وكان المجمع قد أصدر حكمه بإدانة نسطوريوس بادر الإنطاكيون –فور وصولهم– إلى عقد مجمع خاص بهم مع بعض الأساقفة الآخرين وكان عددهم 150 أسقفا من كافة أنحاء سوريا و آسيا الصغرى ، فحكموا على كيرلس لكونه تصرف خلافاً للشرع الكنسي، ورؤوا في أقواله ما رآه نسطوريوس سقوطا في ضلال أبوليناريوس ، بيد أن موفدي روميالذين قَد ِموا بعد الوفد الإنطاكي أيضا بأيام ،كان موقفهم مختلفا ، وذلك أنهم وافقوا على ما جاء في وقائع الجلسة الأولى وثبّتوا الحكم على نسطوريوس ثم حَ رَ مَ المجمع يوحنا بطريرك أنطاكية إزاء هذا الموقف فأُقفل المجمع، وأمر الإمبراطور بتوقيف كيرلس ونسطوريوس معا، غير أنه مال – تحت تأثير ضغط الشعب والرهبان – إلى جهة المجمع، فقبل استقالة نسطوريوس وصرف كيرلس والأساقفة إلى كراسيهم [1].

عَ مِ ل الأنطاكيون "المعتدلون" وعلى رأسهم يوحنا على إعادة السلام بين الكنائس وخصوصا بين أنطاكية والإسكندرية ، فتوصلوا بعد حوالي السنتين إلى مصالحة نهائية على أساس نص اعتراف وضعه لاهوتيون من أنطاكيةوالإسكندرية دُعي بقانون الوحدة[2]، وجاء فيه:"أننا نعترف بأن يسوع المسيح ابن الله الوحيد هو إله تام وإنسان تام من نفس ناطقة وجسد ، مولود من الآب بحسب اللاهوت وهو عينه مولود في الأزمنة الأخيرة

[1] . كيرلس الأنطوني ، المرجع السابق ، ص 58 .

[2] . *Dedieu Jean Pierre : L'inquisition, imprimerie Brodad et taupin , p 54 .*

لأجلنا من العذراء مريم ....إذ قام فيه اتحاد الطبيعتين.... وأن القديسة مريم بحسب هذا الاتحاد هي والدة الإله لأن الإله الكلمة تجسد وتأنس منها ومن بدء الحمل أَتحْدَ ذاته بالهيكل الذي مــنها " .

إلى جانب ذلك حضر العديد من الشخصيات اللاهوتية الهامة في المجمع ، هناك من أيَّد تعاليم المجمع وهناك من عارضها ، أبرز أولئك :

✓ **القديس كيرلس** : كان من أهم المشاركين في مجمع أفسس وقد حارب تعاليم نسطور ، وعندما عاد من مجمع أفسس كسب شعبية كبيرة ثم عكف على كتابة مؤلفاته اللاهوتية العديدة ، وقد حظر المجمع حوالي200 أسقف .

✓ **الإمبراطور ثيودسيوس الصغير** : نصب ملكا بعد وفاة والده أركاديوس عام 408م ، كما اتفق و الإمبراطور على عقد مجمع أفسس وحدد موعده ، ثم أمر بإرسال الدعوة لجميع الأساقفة ليكونوا على استعداد للحضور إلى أفسس في الموعد المحدد .

ومن أهم المشاركين أيضا في مجمع أفسس نجد : كيرلس بابا الإسكندرية يصحبه خمسون أسقفا مصريا كما حضر يوبيناليوس أسقف أورشليم وممنون أسقف أفسس ، وحضر إلى المجمع نسطور ومعه أربعون أسقفا من أنصاره ، و أعتذر أساقفة أنطاكية وروما .

- **جلسات المجمع وتعاليمه** [1]:

عقد المجمع أول جلساته في شهر يونيو عام 431 م متخذين من الكنيسة الكبرى بأفسس مقرا لهم ، ثم طرحت رئاسة المجمع على الأساقفة فأجمع الكل على إنتخاب كيرلس أسقف الإسكندرية رئيسا،وافتتحت الجلسة بقراءة رسالة الإمبراطور ثيودوسيوس الصغير للمجمع ، ثم سردت رسالة الأسقف كيرلس التي بعث بها لنسطور، وبدأ الأعضاء في مناقشة تعاليم نسطور التي جاءت في كتاباته ورسائله وأقواله المدونة ، واستمر المجمع

[1] . كيرلس الأنطوني ، المرجع السابق ، ص 46 .

في جلسته الأولى حتى المساء ، وقبيل انتهاء الجلسة أصدر المجمع حكمه ضد نسطور و سلبت منه الوظيفة وحرم من كل خدمة كنسية ، فلم يقبل نسطور بهذه الأحكام ، ونظرا لهذا عقدت مجموعة من الجلسات ووضعت قوانين ثمانية لسياسة الكنيسة ، جاء في الستة الأولى تحريم كل من ينحرف عن العقيدة المسيحية ويتبع نسطور في معتقداته وتعاليمه ، وفي القانون السابع تحذير لكل من تسول له نفسه أن يعبث بقوانين الكنيسة كأن يزيد عليها أو ينقص منها ، وفي القانون الثامن فقد حدد سلطة كل من الأساقفة وحرم على كل أسقف أن يعتدي على حقوق غيره .

كما خرجت العديد من التعاليم في هذا المجمع أبرزها [1]:

- ✓ **تعاليم بيلاجيوس** : ولد بيلاجيوس ببريطانيا سنة 405 م ، وكان راهبا ، نادي بتعاليم جديدة مضمونها أن خطيئة أدم قاصرة عليه دون بقية الجنس البشري ، وأن كل إنسان عند ولادته يكون كآدم قبل سقوطه وقال أيضا أن الإنسان بقوته الطبيعية يستطيع الوصول إلى أسمى درجات القداسة بدون حاجة إلى مساعدة النعمة الإلهية ، وقد بقي لفترة يتنقل من بلدة لأخرى وينشر تعاليمه إلى أن نوقشت تعاليمه في مجامع مسكونية أخرى .
- ✓ **تعاليم نسطور** : تعتبر تعاليم نسطور السبب المباشر لعقد مجمع أفسس إذ نادى نسطور بأن في السيد المسيح أقنومين وشخصين وطبيعتين [2]، واستنتج من ذلك أن أنه لا ينبغي أن نسمي السيدة مريم بوالدة الإله واستقطع الجزء الأخير من كل ثلاث تقدسات التي ترتلها الكنيسة في صلواتها ، وقد عقد مجمع أفسس لمناقشة ومحاربة أفكاره .

[1] .ينظر كيرلس الأنطوني ، المرجع السابق ، ص 38 .

[2] . م .روز نتال دي بودين ، الموسوعة الفلسفية، تر سمير كرم ، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت،1981 م، ص 104.

المبحث الخامس : مجمع أفسس الثاني

- **أسباب انعقاد المجـمع :**

كان السبب المباشر لعقد مجمع أفسس الثاني ، هي التعاليم والأفكار التي جاء بها أوطاخي رئيس دير بجوار القسطنطينية يضم أكثر من 300 راهب وكان معروفا بعلمه [1]، ونادى في أفكاره بأن طبيعة الناسوت تلاشت في الطبيعة الإلهية فصار السيد المسيح بطبيعة واحدة ممتزجة ، إذ اقتنع الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني بعقد المجمع وطلب من يوبينياليوس أسقف أورشليم وتلاسيوس أسقف قيصرية كبادوكيا أن يكونا رئيسين شريكين معه .

عقد المجمع الجلسة الأولى في 8 أغسطس عام 449م، وحضره 150 أسقف برئاسة البابا ديسقوروس وبحضور الأسقف يوليوس ممثل بابا روما ، وجيوفينال أسقف أورشليم ، ودمنوس أسقف أنطاكيا وفلافيان بطريرك القسطنطينية،وبعد استعراض وقائع مجمع أفسس الأول 431م ، ومجمع القسطنطينية 448م، وقراءة أفكار أوطاخي فيما يخص"**الإيمان بطبيعة المسيح**" هناك من عارض وهناك من أيد هاته الأفكار و بعد الاستماع إلى آراء الحاضرين حكم المجمع بإدانة وعزل فلافيان بطريرك القسطنطينية ويوسابيوس أسقف دوروليم وبتبرئة أوطيخا وإعادته إلى رتبته الكهنوتية [2] .

هناك بعض المؤرخين من لهم رأي فما يخص الغرض من عقد مجمع أفسس الثاني حيث أن المجمع لم يعقد بناء على طلب البابا ديوسقورس ، ولم توجد بينه وبين الأباطرة رسائل مسبقة في هذا الشأن ، هذا يعنى أن

[1] . كيرلس الأنطوني ، المرجع السابق ، ص 38 .

[2] . *Strauss Leo : La critique de la religion chez Spinoza on les fondements Spinozistes de -la bible, recherche pour une vue étude du « traité- theologico- politique ».*

القديس ديوسقورلم يكن يبغي نفعًا شخصيًا خطط له ، بالإضافة إلى أن بعض الرسائل الملوكية توحي بوجود اضطرابات لاهوتية متزايدة في إيبارشية القسطنطينية ، إذ كان طلب الإمبراطور من القديس ديسقورس هو الإسراع لوضع حد للمتاعب اللاهوتية ،هذا ومما يجب مراعاته أن ديسقورس لم يعلن عن صيغة إيمان جديدة بل كان يسعى للمحافظة على الصيغة التقليدية للإيمان الكنسي .

هذا وقد أُخذت القرارات بالتصويت،ولم يعرفأن أسقفًا من الحاضرين احتج أو انسحب من المجمع،غير "فلابيانوس ويوسابيوس" عند إصدار الحكم الأخير، والملفت للإنتباه أن القديس ديوسقورس حتى اللحظة الأخيرة من إنعقاد المجمع لم يتكلم حسب المصادربكلمة ضد كنيسة روما إذ تشير بعض المصادر أنه وبعد أن افتتحت الجلسة وقف القس يوحنا كبير الكتبة وقرأ المراسيم الملكية ، وبدأ الأساقفة يبحثون تعاليم أوطاخي فاقترح يوبينياليوس أسقف أورشليم استدعاءه ليجيب عن نفسه ، ولما جاء أوطاخي طلب منه الأساقفة أن يوضح تعاليمه ويشرحها ، فلم يخرج عن تعاليم الأساقفة الحاضرين ، فتمت تبرئته ووافق الأساقفة الحاضرون على ذلك لانه قد اعترف واقتدى باعتقاد مجمع نيقية ، وبما جاء في مجمع افسس ، ثم اعلن الرئيس انتهاء جلسات المجمع ، فعاد الأساقفة كل الى ابربروشيته [1].

إلى جانب ذلك حضر العديد من الشخصيات اللاهوتية الهامة في المجمع ، هناك من أيَّد تعاليم المجمع وهناك من عارضها ،وصل عددهم 130 أسقفا ونذكر منهم : ديوسقورس رئيس المجمع و يوليانوس نائب أسقف روما ويوبينياليوس أسقف أورشليم ودمنوس أسقف أنطاكية وفلابيانوس أسقف القسطنطينية وغيرهم من الأساقفة وعندما بدء المجلس أستدعي أوطاخي لسماعه [2].

[1] . ينـــظر : *Graf Alain : Les grands courants de la philosophie moderne, seuil 1996,p45*

[2] . كيرلس الأنطوني ، المرجع السابق ، ص 38 .

المبحث السادس : مجمع خلقيدونيا

- **أسباب انعقاد المجمع :**

عاد نواب لاون في مجمع أفسس الثاني ، حيث أطلعوه على ما دار في المجمع وقدموا له صورة من قراراته وكان لاون يأمل بان يأخذ المجمع برأيه المنادي بطبيعتين في السيد المسيح بعد الاتحاد [1]، وبدأ أسقف روما يسعى ما أمكنه لعقد مجمع تستأنف فيه الأحكام التي أصدرها مجمع أفسس الثاني،فكُتب خطاب للإمبراطور ثيودوسيوس من طرف أسقف روما بخصوص عقد مجمع لتدارس بعض المسائل العقدية خاصة وأن الكنيسة قد شهدت بعض التساؤلات التي لم يجد لها الأساقفة أجوبة ولا عامة الناس ، فلم يجبه فطلب من فلنتيانوس إمبراطور الغرب لكي يكتب له لنفس الغرض ، فلم يقبل الإمبراطور ثيودوسيوس الصغير وذكر أن مجمع أفسس الثاني قد فحص الأمر بدقة كافية ولا حاجة لعقد مجمع أخر، لكن حدث أمر هام وهو وفاة الإمبراطور ثيودوسيوس الصغير ولم يترك نسلا يتولى الملك بعده ، وكانت له أخت والتقاليد لم تكن لتسمح للنساء باعتلاء العرش البيزنطي فتزوجت بوليكاريا أخت ثيودوسيوس الصغير بمركيان أحد قُواد جيش أخيها ، وأصبح مركيان يعتبر إمبراطور الشرق ، وكان يميل لتعاليم نسطور هذا الأخير لم ينه الخلاف ، فقد تحطمت أواصر الشراكة بين روما والإسكندرية من جانب وأنطاكيا من الجانب الآخر، فمعى الإمبراطور نفسه مستخدماً سلطانه و نفوذه ليعيد السلام، وبالفعل حققت مساعيه النتائج المرجوة ، وفي عام 433 م أرسل يوحنا الأنطاكي بولس أسقف حمص إلى الإسكندرية ومعه اعتراف بالإيمان (أي وثيقة تعلن إيمان يوحنا) وقبله كيرلس، وأرسل إلى يوحنا رسالته المشهورة التي أعادت الوحدة،والتيتضمنت جزءً من اعتراف يوحنا يؤكد وحدة شخص السيد المسيح

1 . ج. ويتلر ، الهرطقة في المسيحية ، تر جمال سالم ، دار الفرابي- بيروت لبنان ، 2007 م ، ص 106 .

والاستمرارية غير المختلطة وغير الممتزجة للاهوت والناسوت فيه [1] ، بهذا فسر "لاون" أسقف روما التغيير السياسي المفاجئ ، وأعاد مساعيه وبعث نواب عنه حيث قابلوا مركيان وزوجته طالبين عقد مجمع جديد فوافق مركيان على عقد المجمع وعقد مجمعا في قصره في القسطنطينية ، ثم استقر رأي مركيان وزوجته لعقد مجمع بعيد عن العاصمة للبحث في أمر الأساقفة المبعدين ورسالة لاون ، وهكذا صدرت الأوامر الملكية لعقد المجمع في مدينة خلقيدونية [2] .

- **الشخصيات الهامة في المجمع :**

اختلف المؤرخون في عدد الأساقفة الذين حضروا هذا المجمع ، فمنهم من قال أنهم كانوا 320 أسقفا ومنهم من قال أنهم بلغوا 630 أسقفا،ومن أهم من شارك في المجمع نجد ديوسقورس أسقف الإسكندرية ويوبيناليوس أسقف أورشليم ومكسيموس أسقف أنطاكية وأناطوليوس أسقف القسطنطينية ،كما أوفد لاون أسقف روما ثلاثة نواب هم الأسقفان باسكاسينوس ولوشنيسيوس والقس بونيفاسيوس ، ولقد حرص الملك ماركيان وزوجته على حضور المجمع [3].

- **جلسات المجمع وقراراته :**

عقدت الجلسة الأولى في اليوم الثامن من تشرين الأول سنة 451م في كنيسة "الأوفيمية" ثم وقف الملك مركيان وألقى خطابه الذي أوضح فيه أن غايته من حضور المجمع هو حفظ النظام ، وجلس الأساقفة كل في

[1] .*Samuel, V.C., The Council of Chalcedon Re-Examined , Senate of Serampore College, Madras, India, 1977, p 8 .*

[2]. خلقيدونية هي إحدى مدن أسيا الصغرى بنيت حوالي 685 ق م على ساحل بيثينية .

[3] . ج. ويتلر ، المرجع السابق ، ص 106 .

مكانه ، وأما القضاة فقد وضعت كراسيهم في الوسط ، فقام الكاتب بقراءة أعمال مجمع أفسس الثاني،ثم ذهب إلى رسالة لاون أسقف روما ، ثم قرأ الكاتب اعتراف أوطاخي الذي قدمه لمجمع أفسس الثاني ومصادقة الأساقفة عليه ، وقد عقدت الجلسة الثانية لهذا المجمع في اليوم الثالث لانتهاء الجلسة الأولى ، وأخيرا أصدر الأساقفة الحاضرون حكما على الأسقف ديوسقورس في غيابه وغياب أساقفته وفي غياب القضاة ونواب الملك .

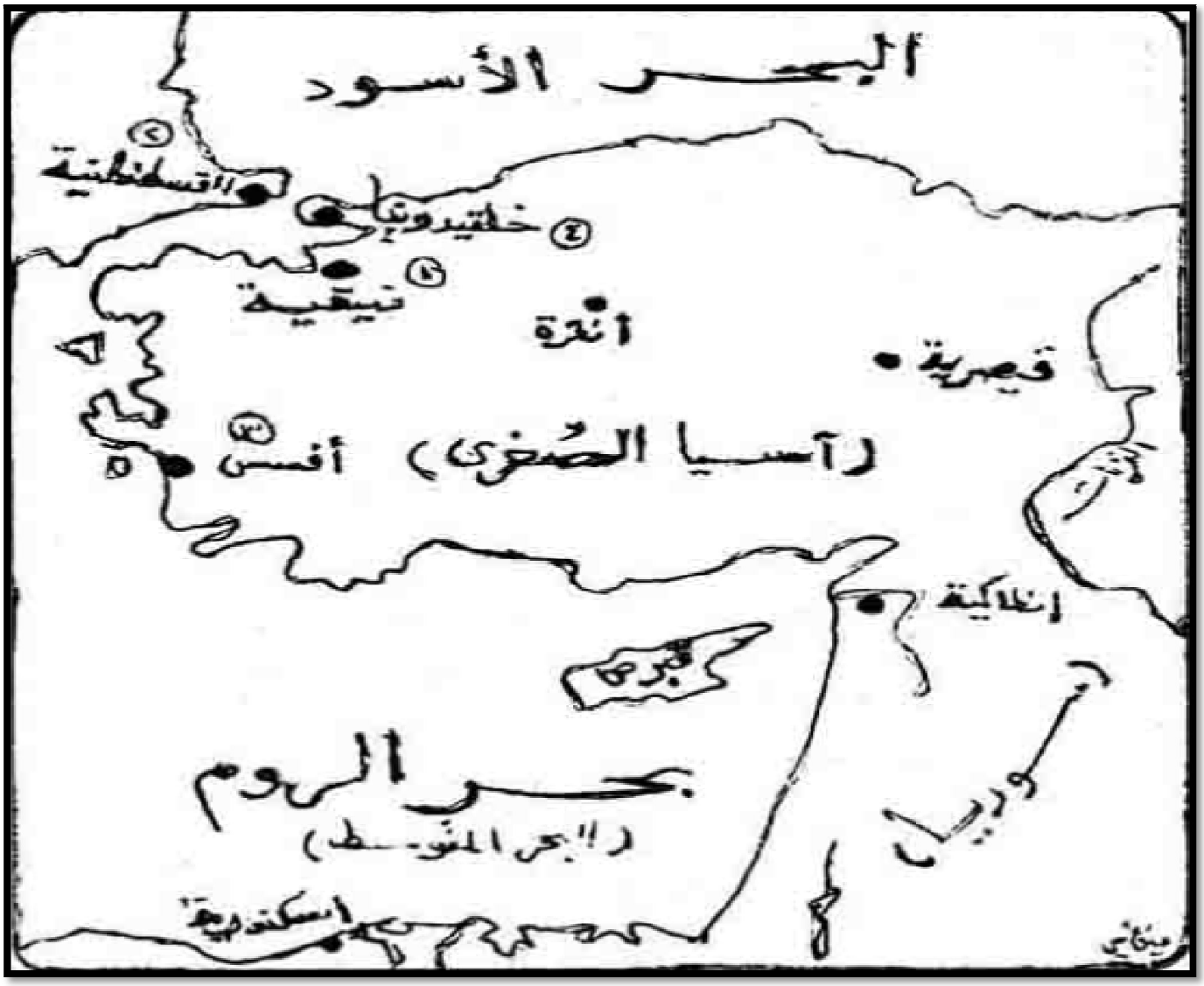

خريطة تجيز مواقع أهم المجامع الدينية

الفصل الثاني : التأثيرات الخارجية على العقيدة المسيحية .

المبحث الأول : إشكـــالـــية المصـطلـــح .

المبحث الثاني : المسيحية والثقافة الهلنستية .

المبحث الثالث : شخصية المسيح حسب الفكر الهلنستي .

المبحث الرابع : تناقضات العقيدة المسيحية .

المبحث الخامس : من المسيحية الشرقية إلى المسيحية الغربية .

المبحث الأول : إشكـــالـــية المصـطلـــح .

بصورة تدريجية أفلحت جهود بولس التبشيرية بتغريب رسالة عيسى عن اليهودية ودفعها باتجاه الوثنية التي كانت راسخة في ضمير بولس منذ طفولته ، وهكذا بدأ الصراع الجدي بين النصارى وبين بولس كنتيجة طبيعية للفجوة الضخمة بين مهمة عيسى المسيح النبوية المسيحانية ، وبين فكر بولس الذي تمكن بمفرده من ابتداع كريستوس هلنستي ميثيولوجي من صنعه ، فلم يكن هنالك بالطبع أي مجال للتوفيق بين الطرفين حيث كان كل منهما على نقيض من الآخر تماما [1].

يصف سفر أعمال الرسل زيارة بولس الأخيرة إلى القدس ولقائه مع الحواريين حيث خاطبوه قائلين :" ألا ترى أيها الأخ كيف اهتدى ألاف اليهود وكلهم متمسكون بشدة بشريعة موسى ؟ والآن وصل إلى عملهم أنك تعلم اليهود في الشتات أن يديروا ظهورهم للشريعة " [2] ، مما يعني أن النصارى ومن ضمنهم الحواريون كانوا يهودا آمنوا بعيسى بصفته المسيح المنتظر ، وقبلوا مهمته المسيحانية الإصلاحية .

غير أن بولس الذي هيمنت على فكره العقلية الهلنستية عن الآلهة التي تموت ثم تحيا وأساطير المخلصين الذي يهبطون من السماء كان يبشر بعقائد ذات قاسم مشترك مع أساطير اليونان الوثنية أكثر منها مع رسالة عيسى المسيح ، بل أكثر من ذلك كان ينسب كل عقائده بالتمام والكمال إلى بعثة عيسى المسيح .

أما بالنسبة إلى عقيدة عيسى الحقيقية فلا بد أن النصارى كانوا على معرفة بها أكثر من غيرهم ، وطالما أن النصارى الأوائل ، ومن بينهم الحواريون لم يسبق لهم أن سمعوا شيئا عن عقائد المسيحية التي نشأت في وقت

[1] . محمد فاروق الزين ، المسيحية والإسلام و الإستشراق ، ط 3 ، دار الفكر المعاصر ، 2003 م ، ص 115 .
[2] . أعمال الرسل ، الإصحاح 18 .

متأخر مثل تأليه المسيح والثالوث والمخلص الذي يكفر عن خطايا العالم ، وطقس القربان المقدس فمن المنطقي أن عيسى نفسه لم يكن يعلم شيئا عن ذلك هو الآخر وفي الوقت نفسه يستحيل على عيسى المسيح المنتظر لديانة توحيدية كبرى أن يعتقد أنه مؤله أو أنه ابن إله ، أو الإله المجسد ، أو أنه الشخص الثاني في الثالوث فذلك ينسف العقيدة التوحيدية من أساسها ، ومن المستحيل على نبي يهودي عظيم بمقام عيسى المسيح أن يقبل أو يصدق بذلك ، وحتى العهد الجديد نفسه بطابعه الهلنستي لا يشتمل على أقل تلميح أو فكرة أن المسيح إدعى لنفسه الألوهية ، أو وعظ الناس على ألوهيته المزعومة ، وبالتالي يمكن الجزم قطعا أن المسيح لم يكن مؤسسا للمسيحية بشكلها الحالي ، ولكن هو بولس الذي قام بمفرده بهذا الدور ، فهنالك هوة واضحة جدا وضخمة بين عيسى المسيح وبين المسيحية [1].

غير أن العقيدة المسيحية ترتكز على إدعاء بولس أن المسيح نفسه أسس المسيحية ، والكنيسة اختارت أن ترتكز على عقيدة بولس مهما بعدت الشقة بينها وبين عقيدة عيسى ، وبنتيجة ذلك بقي المسيحي العادي غافلا عن الهوة الضخمة الفاصلة بين المسيح الذي يؤمن به من حيث أنه **"كريستوس"** الذي تخيله بولس ، بين حقيقة عيسى المسيح التاريخي ، لدرجة اعتقاده أن لا فرق بينهما ، وقد اجتهد علماء الكتاب المقدس في الغرب خلال الثلاثين عاما الأخيرة لكشف الغطاء عن هذا الوهم،وليان المسيحية مبنية على شخصية عيسى الميثيولوجية ، شخصية كريستوس ، التي كانت " توحي" إلى بولس وحده .

ومن جانب آخر اجتهد بعض رجال الكهنوت في التنظير بأن مبادئ بولس عن عيسى " كريستوس" وآلامه كإله ليست سوى استمرارا لليهودية كما هي في العهد القديم ، بينما في الحقيقة أن تنظيرهم ناتج عن

[1] . محمد فاروق الزين ، المرجع السابق ، ص 115 .

ضعف اعتقادهم بعيسى المسيح الذي عرفه التاريخ ، وحيث أن أكثرية المسيحين غافلون عن الفرق بين المسيح الحقيقي وبين كريستوس الذي ابتدعه بولس ، فلا شك أن هذا الكلام سيبدوا شائكا ، إن لم يكن معقدا ومن الطبيعي أن يميل المرء إلى الإعتقاد أن مسيحه الذي يؤمن به هو المسيح الحقيقي ، وليس الميثيولوجي الذي إبتكره بولس وتبنته الكنيسة .

إن مصادر معلوماتنا الرئيسية عن بولس هي رسائله التي كتبها بنفسه ، والتي جعلوها فيما بعد جزءا من الكتاب المقدس ، وثانيا سفر أعمال الرسل الذي كتبه لوقا أحد أتباع بولس ، وقد أراد لوقا أن يجعل من سفر أعمال الرسل تأريخا لحياة بولس ، ولوقا أيضا هو مؤلف السفر الثالث المنسوب إليه في العهد الجديد والمفترض أنه يروي قصة حياة عيسى عليه المسيح ، رغم أن لوقا باعترافه لم يكن تلميذا لعيسى ولم يكن شاهدا على الأحداث وقت وقوعها [1].

تود الكنيسة أن تعطي الإنطباع أن بولس كان المفسر الأوحد لبعثة عيسى المسيح ، لدرجة أن بولس فهم وفسر المغزى من بعثة المسيح بطريقة لم تكن تخطر على بال عيسى نفسه ، ومن ذلك أن موته كان جزءا من خطة آلهية لإنقاذ العالم من خطايا ،[2] غير أن صحابة المسيح الذين عرفوه على الأرض ، وعرفوا تعاليمه تمام المعرفة لم يقبلوا بنظريات بولس ، ولذا وجد بولس مخرجا لنفسه عندما أعلن أن تفسيره لبعثة المسيح لم يكن وليد أفكاره الشخصية ، وإنما كان وحيا يتلقاه من عيسى نفسه بعد وفاته ، وادعى أنه على معرفة وثيقة بعيسى الذي نهض من الموت وصعد إلى السماء ، بالمقارنة مع الحواريين الذي عرفوا عيسى على الأرض فقط ، وبذلك حول

[1] . إنجيل لوقا ، الإصحاح 2 .

[2] . ينظر ج. ويلتر ، الهرطقة في المسيحية ، ص 45 .

بولس نفسه صلاحيات أوسع بكثير من صلاحيات الحواريين الإثني عشر الذين انقطع اتصالهم بعيسى بعد مـــوتـــــه .

إذن الميثيولوجيا التي تمحورت حولها ديانة بولس تلخصت بموت مخلص مؤله ، كان موته كفارة لخطايا العالم والمفترض أن مجرد الإيمان بهذه الأضحية " الإلهية " مع المشاركة الميثيولوجية في أكل جسد الإله الميت والشرب من دمه كاف للخلاص ، بل هو الطريق الوحيد للخلاص ، مع أن عيسى لم يكن يعلم شيئا عن هذا الدور الذي أسندوه إليه كأضحية إلهية متألمة ، يأكلون من جسده ويشربون من دمه[1] ، وبالطبع لم يجد النصارى بدا من رفض عقائد بولس والانفصال النهائي عنه ، لأنهم يعرفون عيسى وتعاليمه أكثر منه بكثير ، بصفتهم من صحابة المسيح ومرافقيه خلال بعثته ، ويبدوا أن بولس لجهله بتعاليم عيسى ركز على استنباط النظريات فيما سماه الكفارة الإلهية ، والتضحية نيابة عن العالم والخلاص بالإيمان فقط .

يكمن لب المشكلة في كون مسيحية بولس تنسب عقائدها إلى عيسى المسيح نفسه ، الشيء الذي أنكره أعلم الناس بعقيدة عيسى وهم النصارى الأوائل ومنهم الحواريون كبار صحابة عيسى ، ولذلك فإن المسيحيين أتباع عقيدة بولس الذي أخذوا على عاتقهم كتابة الأسفار بعد حوالي (40-90 عاما) من رحيل المسيح اضطروا لمواجهة الحقيقة المرة وهي أن النصارى لا يزالون يعارضون عقائد بولس بشدة ، ولمقابلة هذه المعارضة وجد المؤلفون لأنفسهم مخرجا عن طريق دس معلومات غير مشرفة عن الحواريين كتبوها في الأسفار ، ومن ذلك تصوير الحواريين على أنهم أغبياء ، وبطئ الفهم وقليلي الإستيعاب لرسالة المعلم المسيح ، كما تم إظهارهم بمظهر

[1] . مانيتون السمنودي ، الجبتانا ، تحقيق علي الألفي ، روافد للنشر والتوزيع، 2011 م ، ص 59 .

الجبناء الذي يتخلون عن سيدهم وقت الشدة ، ويصل التشهير بالحواريين ذروته عندما يتهم بطرس بأنه أنكر معرفته بتاتا بالمعلم المسيح أثناء محاكمة الأخير [1] .

ومن جملة التشهير بالحواريين في الأسفار تصويرهم بأنه كسالى ، لا بل سكارى ، يغطون في النوم ولا يتمكنون من مغالبة النعاس وأعينهم ثقيلة ، بالإضافة إلى هدف التشهير بالحواريين ، وهو تبرير تواصل عيسى المتوفى مع بولس وحده دون غيره ، لأن الحواريين باعتبارهم أغبياء وكسالى وجبناء وحتى خونة كذلك ، يعني لم يكونوا جديرين بتلقي الإلهام من المسيح .

وفي محاولة لإخفاء الفجوة بين كنيسة بولس وبين النصارى بذلت الكنيسة جهودا كبيرة لإيجاد قنوات وصل وهمية بين الطرفين ، وهنالك طبعا محاولات أخرى للالتفاف حول النصارى وإيجاد حلقة وصل مباشرة بين بعثة المسيح وبين ديانة بولس .

[1] . نعيمة إدريس ، أزمة المسيحية بين النقد التاريخي والتطور العلمي ، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه ،جامعة قسنطينة ، 2008 م ، ص 29 .

المبحث الثاني : المسيحية والثقافة الهلنستية

كيف نشأت المسيحية ؟ الجواب قد يبدوا بديهيا لدى الكثيرين ، مسيحيين وغير مسيحيين ، غير أن الباحثين والمفكرين لا زالوا يواجهون أسئلة جدية في هذا السياق ، هل بدأت المسيحية حقا مع عيسى عليه السلام ؟ وهل كان المسيح فعلا المسيحي الأول ؟ وهل كان عيسى هو كريستوس بالمعنى الهلنستي الذي فهمه بولس وكنيسته بعده ؟ أم كان عيسى هو المسيح المنتظر بالمفهوم اليهودي ؟ كيف ومتى بدأت المسيحية ؟ هل بدأت مع بولس بعد عيسى بربع قرن ، أم أنها بدأت في مؤتمر نيقية عام 320 م؟ وهل كان لعيسى المسيح أية علاقة بالمسيحية التي أنشئت باسمه فيما بعد ،وماذا يقول لو قدّر له أن يعود من جديد ؟ ولماذا استخدم بولس وهو المسيحي الأول اسم عيسى المسيح رمزا لديانة لا علاقة لها بالمسيح ؟ ولماذا أشكل على بولس فهم عيسى المسيح على حقيقته ، ولم يرى سوى **"كريستوس"** هلنستي ؟ .

غالبية الناس غافلة عن الحقيقة التاريخية أن عيسى المسيح لم يؤسس المسيحية ، وأن عيسى المسيح نفسه لم يكن المسيحي الأول ، بل لم يكن مسيحيا على الإطلاق بالمفهوم المتعارف عليه اليوم ، وأن مفاهيم الألوهية التي أسبغوها عليه لم تكن معروفة بين النصارى أتباع عيسى الأوائل الذين شكلوا ما سماه كتاب أعمال الرسل **"كنيسة القدس"** لقد كان الهدف الأول من رسالة عيسى تطهير الديانة اليهودية من شوائب الوثنية التي تراكمت فيها عبر السنين ، فالديانات التوحيدية تحرم أي تساهل مع مفاهيم الوثنية كالشرك وتعدد الآلهة[1]،إذن فكيف أمكن إذن أن تنبثق مثل تلك المفاهيم من ديانة توحيدية مثل اليهودية ؟ وهل يعقل أن يعتنق عيسى

[1] . خليل حنا تادرس ، الأساطير الإنجيلية ،دار كتابنا للنشر والتوزيع ط 1 ، 2012 م ، ص 232 .

المسيح مثل تلك المعتقدات ؟ ولماذا لا ترغب الكنيسة ، أو لا تستطيع ، تحرير رسالة عيسى المسيح التاريخية من قيود ومعتقدات بولس ومن معتقداتها هي نفسها ؟ .

لدى دراسة الكتاب المسيحي المقدس –العهد الجديد– لا يفوت القارئ المحايد ملاحظة أنه من سبعة وعشرين سفرا التي تشكل بمجموعها الكتاب المسيحي المقدس هنالك أربعة منها فقط عن عيسى عليه السلام وأن هذه الأسفار الأربعة في جوهرها قصصية كتبت بعد وقوع الأحداث التي وصفوها ، بل الواقع أن مؤلفي الأسفار مجهولو الهوية ولا علاقة لهم بالأشخاص المنسوب لهم التأليف ، يضاف إلى ذلك كله فحوى الأسفار القصصية لا يعدو التعبير عن عقيدة بولس أن عيسى بموته على "الصليب" أصبح منقذا للبشرية إذ ضحى بنفسه مقابل أخطاء العالم ، أما بقية كتب العهد الجديد فهي في معظمها رسائل كتبها بولس لأغراض مرحلية محضة [1].

أكثر الدراسات لا تفرق بين مسيحية بولس وبين ديانة عيسى المسيح ، ولا الفوارق بين شخصية "كريستوس" التي تخليها بولس وبين الشخصية الحقيقية التاريخية لعيسى المسيح ، ولا الفرق بين العهد الجديد وبين إنجيل عيسى المسيح ، وأكثرهم على الظن أن عقيدة بولس وقرارات المجمعات المسكونية ليست سوى استمرارية لرسالة عيسى المسيح .

في أواخر بعثة المسيحي وبعد المؤامرة لقتله التقى عيسى المسيح مع مريم المجدلية قرب " المدن " وقال لها بوضوح : (لا تلمسيني لأني لم أرفع بعد إلى الأب ولكن إذهبي إلى أخوتي –الحواريين– وأخبريهم أنني سأرفع إلى

[1] . محمد فاروق الزين ، المرجع السابق ، ص 68 .

أبي وأبيكم ، إلهي وإلهكم)[1] ، وهذا القول لعيسى المسيح في أواخر بعثته ذو مغزى هام جدا من ناحيتين : أولا تأكيده لمريم المجدلية في ذلك الوقت أنه لم يرفع إلى الله وبعبارة أخرى أنه لم يتوفى ولم يمت على الصليب ولكن سوف يرفع إليه تعالى ، والرفع –الوفاة– نتيجة حتمية لرفض قومه له لدرجة تآمرهم على قتله ، ثانيا : لابد أن المسيح بصفته النبوية كان يعلم مقدما قبل رفعه إليه تعالى — ما سيؤول إليه قومه من تأليه فيجعلوا منه إلها وابن إله ، فكان بهذا التأكيد ينذرهم سلفا أنه ليس سوى بشرا مثلهم ، وإن كان ابن الله ، فليس بصفة فريدة تختص به ، فكل يهودي كان يعتبر نفسه مجازا ابن الله ، وأن الله تعالى رب المسيح ور ب الجميع بلا استثناء .

[1] . إنجيل يوحنا ، الإصحاح 17 .

المبحث الثالث : شخصية عيسى حسب الفكر الهلنستي

التطورات العقائدية التي تمت منذ رحيل عيسى المسيح من هذا العالم ، حوالي عام 37م ، وحتى انعقاد مجمع نيقية عام 325 م كانت التطورات جذرية جدا ، نتج عنها تحويل شخصية عيسى المسيح الناصري التاريخية إلى شخصية عيسى الهلنستية الميثيولوجية المسماة باليونانية "كيرجما " بمعنى الرسالة أو الإعلان والتي آمن بها المسيحية الحالية،وفي هذه الحالة هي رسالة الآلهة التي تموت ثم تحيا من جديد في الميثيولوجيا الإغريقية وفي الديانات الهلنستية الغامضة،وتحت التأثير الثقافي لجأ مؤلفو الأسفار إلى إبتداع تاريخ لحياة المسيح –كتاريخ صلبه وقيامته مثلا – ليطابق ميثيولوجيا الكيريجما ، وقد يكون أنهم صدقوا فعلا بأن التاريخ الذي ابتدعوه مطابق لما يجب أن تكون عليه حياة المسيح .

والنتيجة أن أسطورة كريستوس الميثيولوجية حلت محل حقيقة المسيح ، وفي أحسن الأحوال فإنها اندمجت معها .

في مصر القديمة كان الإله المخلص "أوزيريس" ابن الإله الشمس رع بشرا وإلهاً في آن واحد ، وقد تحمل الجانب البشري منه كل آلام البشر ، مات ودفن ثم نهض من القبر ولكل المؤمنين بعبادته الغامضة أعطى من جسده الميثيولوجي ليأكلوا منه ومن دمه ليشربوا منه حتى يتحولوا بذلك إلى كائنات سماوية [1].

وقد إنتقلت عبادة أوزوريس إلى سورية عن طريق جبيل وقتها كانت مستعمرة مصرية وقد عرف أوزوريس في جبيل تحت إسم أدونيس ، وفي اللغة الفينيقية أدونيس معناها أدون أي الرب ، وبحسب الفينيقيين كان أدونيس إلها مخلصا يصعد في كل ربيع من عالم الأموات ليعطي الحياة للبشرية وفي بابل أطلقوا عليه اسم تموز .

[1] . سيد القمني ، أوزيريس وعقيدة الخلود في مصر القديمة ،ط 2، المركز المصري لبحوث الحضارة ، 1999م ، ص 67 .

وبعد ذلك في الديانات الإغريقية صار أوزريس يعرف باسم الإله ديونيسس ، الإله المخلص الذي مات من أجل البشرية وكانوا يأكلون من جسده الميثيولوجي ويشربون من دمه في طقس القربان المقدس،وكانت لديونيسس الإغريقي عدة شخصيات إحداها إله الطبيعة والخصب الذي يموت كل شتاء ويحيا في الربيع ، وكانت عبادته أكثر الديانات إنتشارا لدى الإغريق حتى أنها إنتشرت منهم إلى أمم أخرى ، ثم عند الرومان صار ديونيسس يعرف باسم "باكوم" .

نشأ العصر الهلنستي في المشرق بعد فتوحات الإسكندر الكبير ما أدى إلى انتشار الثقافة الإغريقية ثم توطدت هذه الثقافة بعد سيطرة الإمبراطورية الرومانية على حوض المتوسط ، وهي تسمى هلنستية اشتقاقا من هيلاس أي اليونان ، وذلك لتمييزها عن الثقافة اليونانية الهلنية الكلاسيكية المحضة ، وكانت الديانات في العصر الهلنستي تعبد مزيجا من آلهة الإغريق الوثنية وآلهة المشرق ، وكان غالبية الرومان هلنستيين من حيث أنهم تبنوا الثقافة والفكر اليوناني وطريقة الحياة اليونانية وتكلموا لغتها ، غير أن تعبير الهلنستيين أطلق بشكل خاص على يهود الشتات في الإمبراطورية الرومانية الذي تبنوا طريقة الحياة والثقافة الإغريقية بعد أن حصل التمازج بينهم وبين الأدب والفكر الإغريقي وديانات وثقافة الإغريق ، ثم أنهم صاروا يتكلمون اللغة اليونانية فقط كأنها لغتهم الأم ، حتى صار يطلق عليهم صفة " **يونان** " من وجه نظر ثقافية محضة ، وفي سفر أعمال الرسل يميز لوقا بين اليهود الهلنتسين وبين العبرانيين هم اليهود الذين قاوموا النفوذ الهلنستي [1].

وفي الميثيولوجيا اليونانية نلاحظ أن الإله ديونيسس المسمى باكوس عند الرومان يطرح طبيعته الإلهية جانبا ويتجول في عالم البشر متسترا على حقيقته وهو ليس فقط إله الخصب والطبيعة والزرع الذي يموت في كل شتاء

[1] . محمد فاروق الزين ، المرجع السابق ، ص 77 .

ثم يحيا في كل ربيع ، بل هو أيضا إله الخمر والنشوة والعربدة وفي المسرحية الإغريقية للكاتب الدرامي الإغريقي يوريبيديس يصف الكاتب لقاء ديونيسس الإله المتخفي على شكل بشر مع الملك بنثيوس في اليونان ، إذ يصل ديونيسس من آسيا الصغرى إلى اليونان بصحبة كهنته من النساء المعجبات لكي ينشر طريقته العربيدة ، ولكن الأهالي يرفضونه فيحاول الملك بنثيوس اعتقاله ، ولكن ديونيسس الإله المتخفي يخبر الملك أن جهوده في مقاومة حركته عديمة الجدوى قائلا له : (إنك بشر فان ، في حين أنه – ديونيسس– إله ، فلو كنت مكانك لسيطرت على غضبي وذبحت له الأضاحي بدلا من مناطحة الحراب) ، والمدهش أن لوقا في سفر أعمال الرسل يضع العبارة ذاتها على لسان بولس عندما كان الأخير في سجنه بقلعة قيسارية يسرد للمرة الثالثة ، قصة " اعتناقه المسيحية " أمام الحاكم الروماني فستوس والملك اليهودي أجريبا .

ولكن يجب الحذر عند استخدام عبارة (اعتناق بولس المسيحية) لأننا نشوه صورة بولس في العهد الجديد لو اعتقدنا أنه " اهتدى" إلى ديانة أو عقيدة كانت موجودة مسبقا ، إذ كان عليه أن يؤسس المسيحية ويحدد معتقداتها بعد " اهتدائه" ، كما يجب أن لا ننسى أنه حافظ على كثير من مفاهيمه الوثنية الباطنية الغامضة بعد " اهتدائه" ثم خلال عشرين عاما من نشاطه التبشيري الحثيث نجح تدريجيا بإبتكار شخصية غامضة للمسيح سماها " كريستوس " جعلها تتبنى معتقداته ، وأحلها محل شخصية عيسى المسيح التاريخية ، كما نجح عن قصد أو غير قصد بتأسيس طريقة هلنستية سميت بالمسيحية عمادها شخصية كريستوس الجديدة رغم أنه لم يكن لها علاقة بعيسى المسيح التاريخي ، وقد قارن بولس عن غير قصد ولكن بحصافة ووضوح بين شخصية كريستوس وبين ديونيسس قائلا : (رغم أنّ عيسى كان في صورة الله لكنه لم يعتبر مساواته بالله اختلاسا ، فجعل نفسه بلا سمعة وتقمص شخصية الخادم متشبها بالبشر فكان في ظاهره بشراً) .

المبحث الرابع : تــناقــضات العقــيدة المسيحيــة .

كان بولس المولود في مدينة طرسوس في كيليكيا بآسيا الصغرى يهوديا متعلما ومثقفا نشأ في العالم الهلنستي وهو ما كان يسميه اليهود بالشتات وكان طليقا باللغة اليونانية إلى جانب معرفته اللغة الآرامية مما سهل حركته واتصالاته في العالم اليوناني والروماني وأعطاه دفعة كبيرة في نشاطه كداعية ، وفي الغالب أنه كان على معرفة باللاتينية أيضا كونه مواطنا رومانيا ، غير أن اليونانية على أية حال كانت اللغة الأكثر شيوعاً في الإمبراطورية الرومانية [1].

ليس هناك من يعتقد أن بولس كان شاهداً على حياة المسيح وبالتالي يستحيل أن يكون تلميذا له ، وفي الواقع أنه كان ألد أعدائه بحسب قصة " إهتدائه" التي أوردها لوقا في كتاب أعمال الرسل ثلاثة مرات ، وبحسب لوقا فإن بولس " اهتدى " عندما كان في طريقه من القدس إلى دمشق ، غير أنه من المريب والغريب جدا أن لا يذكر بولس نفسه هذه القصة ولا يتطرق إليها إطلاقا في جميع رسائله ، حتى أنه لم يذكر شيئا عن حنانيا المفترض أنه أعاد إليه بصره في دمشق ، ولكل هذه المعلومات علينا تصديق لوقا الذي كتب سفر أعمال الرسل بعد وفاة بولس بحوالي خمسة وعشرين عاما ، بل إن بعض المصادر تذكر أن أعمال الرسل كتب بعد الأحداث بحوالي ثمانين عاماً .

وبالمقارنة مع ادعاء لوقا عن قصة " تحول " بولس ، فإن بولس نفسه لا يقول عن قصة اهتدائه أكثر ممايلي : (بولس الذي صار رسولا ليس من قبل البشر ولا من قبل أي شخص ولكن من قبل عيسى –كريستوس– ومن قبل الله الأب الذي أحياه من الأموات) والمهم ملاحظة تأكيد بولس أن كونه رسولا لا يستمد صلاحيته من

[1] . سيف الدين الكاتب ، أطلس التاريخ القديم ، دار الشرق العربي ، ط 5 ، 1429 هـ – 2008 م ، ص 35 .

قبل صحابة عيسى ، ولا حتى من عيسى المسيح نفسه على الأرض الذي يكن على معرفة به أصلا ، ولكنه استمد صلاحيته من عيسى –كريستوس– الذي في السماء أي بعد موته ومن الله ، وكان هذا إدعائا بارعا وملائما ومريحا في نفس الوقت حيث نصّب نفسه فوق أي سلطة زمنية دون يتيح لأحد محاسبته ، فقد استمد سلطته حصرا من عيسى الذي في السماء ولهذا الغرض وجب الإكتفاء بشهادته وحده ، وقد أضاف (ولكن عندما اختارني الله وأنا رحم أمي لكي يظهر أبنة فيَّ ، ولكي أدعوا إليه غير اليهود فإنني لا أستشير لهذا الغرض رجالا من لحم ودم)[1]يقصد أنه لم يكن بحاجة لإستشارة الحواريين وصحابة عيسى كما لم يكن بحاجة للإعتراف بسلطتهم لأن سلطته تأتي من السماء مباشرة ، إذ يذكر في موضع آخر"لم أذهب إلى القدس إلى الذين كانوا رسلا من قبلي ، ولكنني ذهبت إلى أرض العرب"[2] ، "وعدت ثانية إلى دمشق" [3] ، والمغزى من قوله أنه لم يكن بحاجة لتعلم أي شيء من الحواريين ومن صحابة عيسى الذين من المؤكد أنهم كانوا على معرفة وطيدة بعيسى طيلة بعثته النبوية على الأرض ، وهكذا ومن البدء عزل بولس نفسه عن الحواريين الذي سماهم فيما بعد " رسلا مزيفين" و"أخوة الزيف" [4] .

ولكن من النقيض مما ذكره بولس لا يذكر لوقا في أعمال الرسل شيئا عن ذهاب بولس إلى أرض العرب بل يقول بالتحديد أن بولس عاد من دمشق إلى القدس حيث مكث بعض الوقت مع الحواريين ثم غادرها إلى قيسارية ثم إلى مسقط رأسه طرسوس ، وهكذا يجتهد لوقا كعادته في إختلاق علاقات حميمية بين بولس ونصارى القدس .

[1] . رسالة بولس إلى أهل غلاطية ،إنجيل مرقس ، الإصحاح 15.
[2] . يقصد أرض الأنباط (الأردن حاليا) .
[3] . رسالة بولس إلى أهل غلاطية ،إنجيل مرقس ، الإصحاح 17 .
[4] . رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنيثة ، إنجيل لوقا ، الإصحاح 13 .

كان بولس وقبل "إهتدائه" ،وكما يبدو من رسائله ، عنصرا في قوة الشرطة التابعة لكبير الكهنة اليهودي في القدس ، ولابد وأنه بتلك الصفة كان يلاحق ويسجن أتباع عيسى المسيح ، حتى أنه يدلي بصوته ضد الذين يحمن عليهم بالموت ، ويفترض أنه ذهب إلى دمشق بصفته شرطيا للقبض على بعض أتباع عيسى فيها ، رغم أنه من غير المفهوم ما هي صلاحية كبير الكهنة اليهودي بدمشق فمن المؤكد أنها كانت خارج نطاق سلطته وسلطة روما ، إذا كانت دمشق تابعة عصرئذ للحارثة الرابع ملك النبطيين (9ق م – 40م) .

وترى بعض المصادر أن بولس بصفته عنصرا في قوة الشرطة اليهودية يحتمل أن يكون قد شارك في اعتقال المسيح بل في محاولة صلبه ، وإن صح ذلك فتكون هذه هي المرة الوحيدة التي التقى فيها بولس عيسى المسيح على هذه الأرض .

ويروي النصارى جانبا آخر من حياة بولس وهي أنه اعتنق اليهودية في طرسوس وكان يسمى في الأصل شاؤول ثم عندما كبر هاجر إلى فلسطين ووجد عملا ضمن قوة الشرطة اليهودية التابعة لكبير الكهنة [1].

وفي جميع الأحوال فإن بولس كان منذ البداية وطيلة حياته شخصا مثيرا للجدل ضمن الجماعات الدينية النصرانية والمسيحية ، ليس فقط أنه عين نفسه رسولا بل كان بزعمه الناطق الوحيد باسم عيسى بعد أن رفع الأخير إلى السماء ، وبهذه الطريقة اكتسب لنفسه نفوذا كبيرا بين أتباعه كما هو واضح من رسائله إلى أهل غلاطية ومن سفر أعمال الرسل الذي كتبه لوقا ، وبالتالي فقد كان على خلاف مستمر مع بطرس وبقية الحواريين الذين سماهم أخوة الزيف .

[1] . النصارى غير المسيحيين نسبة إلى الناصرة بفلسطين .

ولا شك أن بولس تطور إلى شخصية دينية واسعة الخيال ، ولو أنها مشوشة وملتبسة عليها الأمور،إذ كانت لديه القابلية الفائقة لاستنباط مغزى ميثولوجي من وفاة النبي اليهودي العظيم عيسى الناصري،فقد هيمنت على عقله أساطير الآلهة التي تموت وتحيا ، وقصص المنقذين الذي يهبطون إلى السماء لافتداء البشرية وبنتيجة جهوده التبشيرية الحثيثة حدثت تطورات جذرية برزت بنتيجتها على الناس شخصية مختلفة جدا لعيسى المسيح تجسدت فيها الصيغ العقائدية لبولس .

ظهر مصطلح المسيحية لأول مرة –وهي غير النصرانية- في مدينة أنطاكية السورية بعد حوالي خمسة عشر عاما على وفاة المسيح ، وكان ذلك بفضل بولس الذي بنتيجة " اهتدائه" أصبح الداعية الأول للديانة المسيحية وباعترافه هو نفسه أنه لم يخالط صحابة عيسى خلال سنوات دعوته لدرجة أنه انقضت مدة أربعة عشر عاما على " اهتدائه" قبل أن يزور القدس ويلتقي ثلاثة من صحابة عيسى[1]، فقد كان على قناعة أنه الوحيد الذي عرف الحقيقية عن عيسى مما لم يعرفه الحواريون ولا الصحابة ، بل أنه في رسالة إلى أهل غالاطية صب ّ اللعنات على كل من يدعوا إلى عقيدة مخالفة لعقيدته حتى لو كانت ملائكة السماء حسب تعبيره [2] ، ولم يكن ذلك غريبا على طبيعته في التبجح ونقمته على الحواريين وعلى صحابة المسيح وبقية النصارى .

وفي الواقع أن معلومات بولس عن حياة عيسى على الأرض وعن رسالة وتعاليمه كانت تقارب الصفر ، كل ما هنالك أنه كان على اتصال مع عيسى بعد وفاة الأخير عن طريق الإلهام ، وعلى أية حال فالنسبة لبولس لم تكن المسيح ورسالته على الأرض على جانب من الأهمية كان المهم فقط موت عيسى ثم ظهوره لبولس دون غيره في أكثر من رؤيا ، وما استنتجه من ذلك أصبح محورا لدعوته .

[1] . محمد فاروق الزين ، المرجع السابق ، ص 77.

[2] . رسالة بولس إلى أهل غالاطية ، الإصحاح 8 .

قادته عقليته الهلنستية عدا خياله الواسع ، إلى الاعتقادأن عيسى لم يكن سوى منقذا من الطراز الهلنستي كالآلهة التي تموت وتحيا من نوع ديونيسس اليوناني ، وهراكليس الروماني ، وكان هذا المفهوم مستساغا جدا لدى معاصريه التواقين إلى منقذين هرقليين ، ولم يكن عندهم صعوبة في قبول وتصديق الأساطير مما سهل مهمة بولس إلى حد كبير .

أراد بولس من شخصية المسيح أن تنافس وتتفوق على الكثير من الشخصيات الهلنستية المؤلهة ، ففي العصر الهلنستي كان شائعا إسباغ الألوهية على الملوك والأبطال وكبار الزعماء والشخصيات ، وقبل زمن بولس بكثير سبق لليونان أن ألهّوا الإسكندر الكبير وسموه " هرقل الجديد ، المنقذ أو المخلص" وبعد موته جعلوا منه رمزا لعبادة جديدة ، وفي العهد الروماني كانت المدن اليونانية تسبغ الألوهية على أباطرة روما مبتكرة بدعة عبادة الأباطرة حتى انتشرت في مدن الإمبراطورية معابد مخصصة لعبادتهم [1].

يوليوس قيصر أعلنه مجلس الشيوخ مؤلها في حياته ثم اعتبروه بعد موته من ضمن آلهة معبد أولمبس ، وابتكروا ديانة خاصة لعبادته في إيطاليا ، ثم أعلن مجلس الشيوخ وخليفته أغسطس ابن الإله أي ابن قيصر وهكذا صار من سلالة فينوس ثم أطلقوا عليه لقب مخلص الإمبراطورية ومنقذها ، كما جعلوا إله النظام أبولو حاميا وراعيا له أما منافسه مارك أنتوني فقد زعموا أن راعيه ديونيسس إله الخمر والعربدة ، ويبدوا أن موضوع تأليه لدرجة أن أمر بإزالة رؤوس آلهة اليونان من تماثيلها ووضع تمثال لرأسه مكانها ، ثم حاول بناء تمثال الإله زوس برأسه هو شخصيا في معبد القدس ليخضع له اليهود ، ولم يقتصر الأمر على الأباطرة بل أعلنوا بوبيا زوجة الإمبراطور نيرون آلهة بعد موتها ، أما الإمبراطور دومتيان فقد أصر أن يخاطبه الناس بلقب (ربي وإلهي) والطريف الملفت

[1]. *Canaan Geargie , Christian fundamentalism , in The Western Hemisphere ,biesan press , beirut Lebanon . p 123 .*

للانتباه أنه بعد حكم دومتيان بحوالي ربع قرن استخدم مؤلف السفر الرابع للعهد الجديد ، سفر يوحنا ، عبارة التأليه نفسها فوضعها على لسان الحواري توماس وجعله يخاطب عيسى بها (ربي وإلهي)[1] .

لم يكن تأليه الزعماء مستساغا فقط بل كان اعتياديا جدا ومطلوبا ، وفي مثل هذا الوسط لم يجد بولس أية صعوبة في تأليه عيسى المسيح جاعلا منه مخلصا من النوع الهرقلي ، ففي طرسوس مسقط بولس كانوا يؤمنون أن هرقل باعتباره نصف إله أحد والديه من البشر والآخر إلها–هبط إلى عالم الموت فأصبح مخلصا لقومه وبصورة مشابهة قام بولس بتحويل عيسى مخلص من الطراز الهرقلي .

وبالنسبة لعامة الناس لا أقل من أن يكون عيسى متفوقا على معاصريه من أباطرة روما فهو قطعا ليس أقل منهم ، وهنالك قصة في سفر أعمال الرسل تعطي فكرة عن عقلية العوام في ذلك العصر وهي قصة بولس وبرنابا عندما ذهبا ، قبل اختلافهما ، في رحلة تبشيرية إلى مدينة ليسترا بآسيا الصغرى وهناك التقيا رجلا مقعدا حاول بولس شفاءه بطريقة نفسانية فاجتمع الناس عليهما وصاحوا(لقد جاءت الآلهة إلينا متخفية على شكل بشر) ذلك أطلقوا على بولس لقب الإله هرمس وعلى برنابا لقب الإله جوبيتير [2] ، وهنالك قصة من نوع آخر حدثت في قيسارية عندما ألقى الملك اليهودي أجريبا خطبة بهر بها الناس فصاحوا (إنها خطبة إله وليس بشر)[3] كما لو كان التأليه مرغوبا في العقل الباطن لبشر ذلك الزمن ، ولعلهم أرادوا تجسيد من يستحيل تجسيده تقريبا له لإفهامهم وعقولهم الوثنية ، أو على الأقل تأليه أشخاص أو أشياء يمكن الإدعاء أنها منبثقة عنه .

[1] . *Canaan Geargie , Christian fundamentalism , in The Western Hemisphere . p 123 .*

[2] . أعمال الرسل ، الإصحاح 23 .

[3] . أعمال الرسل ، الإصحاح 23 .

مثل هذا الجو " الثقافي" كان في تمام النضوج والاستعداد للدعوة التي اختارها بولس لنفسه ، ثم إن بولس كان موهوبا ونشطا في تحريك الجماهير ومراسلاً ممتازا كما هو واضح من رسائله التي شكلت فيما بعد جزءاً كبيرا من العهد الجديد ، ولابد أن مقدرته الأدبية والخطابية ساعدته كثيرا في سني دعوته ، بالإضافة لمقدرته الممتازة باللغة اليونانية كتابة وتكلماً ، ذلك أن اليونانية – وليس اللاتينية– كانت اللغة الأكثر شيوعاً بين السكان في الإمبراطورية الرومانية .

وفي مثل هذه البيئة والعقلية الجماهيرية ، التي أخذ بولس على عاتقه فيها نشر دعوته ، اتخذت رسالة عيسى المسيح منحى جديدا وخطراً خارج فلسطين نتجت عنه عواقب لم تكن بأقل من كارثة ، فقد تحولت إلى عبادة إله هلنستي جديد سماه بولس باليونانية " كريستوس" بمعنى " الخير" وهو لقب كانوا يطلقونه على آلهتهم الهلنستية في طقوس عباداتهم الغامضة ، وهكذا انفصلت دعوة بولس عن رسالة المسيح من حيث أنها ركزت على أنه " مغزى" موت المسيح وكيف صار مخلصا ومنقذا والتركيز على وجوده المسبق ووجوده اللاحق ، مع عدم الاكتراث برسالته وتعاليمه الحقيقة على الأرض ، وفي ذلك قال "ماك" في كتابه " من كتب العهد الجديد " إذ كانت أسطورة كريستوس ردة فعل مبالغ بها لم يكن لها مبرر [1].

وخلال القرن الثاني والثالث تم القبول بعيسى تدريجيا في العالم الكنسي ضمن مصاف الآلهة ، حتى كان العام 325م عندما عقد الإمبراطور قسطنطين الكبير مؤتمر نيقية وصدر القرار الإمبراطوري باعتماد ألوهية عيسى رسميا ، وهكذا اكتسبت مسيحية بولس شكلها القانوني المعتمد من خلال قرارات نيقية ثم من قرارات المجمعات المسكونية المتتابعة بعدها التي جمعت نظريا على الأقل رجال الدين المسيحي من كافة أنحاء المسكونة ومنها

[1]. *Fereke ,Timothy – Gandy , peter , The Jesus Mysteries , harmony , books , 1997 , p 34 .*

اشتقت تسمية المجمعات المسكونية والنتيجة أن المسيحية تأسست ونجحت بفضل شخصين مختلفين في عصرين مختلفين وبطريقتين مختلفين ، الأولى ميثيولوجية غامضة والثانية سياسية ، وهذا الشخصان هما بولس خلال الفترة (40-62م) تقريبا ، والإمبراطور قسطنطين خلال الفترة (313-325 م) .

المبحث الخامس : من المسيحية الشرقية إلى المسيحية الغربية

مصطلح المسيحية كلمة يونانية لمفهوم هلنستي فقد أبتكر بعد المسيح في مدينة أنطاكية السورية ، ولم ينشط مسيحيو بولس على الساحة إلا بعد وفاة المسيح بوقت طويل ، ويبدوا ذلك واضحا من الفجوة الكبيرة التي تفصل بين رسالة عيسى المسيح وبين عقيدة بولس ، فقد بلور بولس عيسى ميثولوجي من صنعه ما لم يكن معروفا لدى الحواريين والنصارى [1].

والواقع أن النصارى أتباع عيسى الأوائل في فلسطين أصيبوا بالدهشة عندما وصل إلى علمهم أن بولس كان يدعو في المعابد اليهودية في الشتات إلى دين جديد ، وأنه جعل من نفسه رسولا لعيسى ، مع أن أكثرهم لم يكن يعرفه ، وأنه كان يدعو إلى عقائد غامضة لا علاقة لها برسالة عيسى المسيح ، وما أثار ذعرهم أنه كان ينسب دعوته للمسيح الذي سماه باليونانية كريستوس ، وقد ادعى لنفسه تلقي الوحي مباشرة من عيسى واضعا نفسه فوق سلطة الحواريين الذين صاحبوا المسيح وعرفوه في حياته ، وقد جعل أساس دعوته مبدأ " أن موت عيسى كفر عن خطايا البشر" وأن النجاة تكون بالإيمان فقط .

كان هذا التحول من النصرانية الفلسطينية إلى المسيحية الهلنستية نكسة خطيرة لرسالة عيسى وهي لم تزل في مهدها ، إذ جعلوا من عيسى وثنا ومعبودا بعد أن جاء هو نفسه لتحطيم الوثنية والأوثان ، وليس من شك أن هذا التحول الديني كان أخطر من أي نكسة دينية أخرى في التاريخ،لقد شوهت أسطورة كريستوس الهلنستي رسالة المسيح تماما وحلت محلها ، وكأنها رسخت العقائد السائدة وقتئذ عن أصناف الآلهة الهلنستيين المخلصين ولكن تحت مسمى جديد استنادا على " **مخلص**" جديد ظهر على ساحة الأحداث ، والعجيب كيف انبثقت

[1] . محمد فاروق الزين ، المرجع السابق ، ص 97 .

من ديانة توحيدية صرفة إلى عبادة وثنية لإله أو نصف إله سماه بولس **"كريستوس"** مستعيرا إياه من زمرة المؤلهين في الديانات الهلنستية الغامضة ، لقد نجح بولس في الهبوط برسالة عيسى إلى مستوى العقائد الإغريقية–الرومانية السائدة في عصره مما يفسر سريانها بين جماهير ذلك الوقت .

ولكن الأمر لم يقتصر على تحويل المسيح إلى كريستوس هلنستي بل تعداه بعد حين إلى والدته السيدة مريم العذراء التي بجلوها باللقب اليوناني " تيوتوكوس"بمعنى والدة الإله أو التي جملت الإله و في مجمع أفسس الكنسي عام 431 م تقرر بكل مهابة وإجلال إقرار السيدة مريم رسميا والدة للإله ، ومنذ ذلك الحين والكنيستان الارثو دوكسية والكاثوليكية الرومية تستخدمان هذا اللقب ، وقد اعترض الراهب السوري نسطور المتوفى(451 م) على هذا اللقب مصرا أنه يتعارض مع حقيقة المسيح من حيث كونه بشر ، وأن مريم بالتالي ليست سوى والدة المسيح لا غير ولكنهم حرموه في المؤتمر ولعنوه [1] .

وقد رأى العديد من علماء الكتاب المقدس أن تأليه السيدة مريم العذراء كان في حقيقته تحولا في العقلية اليونانية الرومانية من عبادة أرتميس إله السحر والخصب المسماة ديانا عند الرومان إلى عبادة السيدة مريم عليها السلام ، وقارن آخرون ذلك مع عبادة الآلهة إيزيس عندهم ترمز إلى الأم الحانية وكانت صورها مع طفلها هوراس مقدسة في المعابد المصرية ويكاد لا يخلو منها منزل ، وفي الديانات البابلية الآشورية ظهرت والدة الآلهة بأسماء أخرى مثل عشتار وأفروديت وفينوس [2]، أما عند قدماء الإغريق فقد ظهرت إيزيس المصرية باسم ديمتر .

[1] . *Fereke , Timothy , The Jesus Mysteries , p 34 .*

[2] . فراس السواح ، لغز عشتار (أصل الدين والأسطورة) ، دار علاء الدين ، ط 1 ، 1993م ، ص 124 .

كان نجاح بعثة عيسى المسيح بين النصارى محدودا ومؤقتا بالمقارنة مع الرفض الذي لقيه على نطاق واسع من قومه اليهود ، رغم أن بعثته كانت موجهة لهم أصلا ، أضف إلى ذلك ردود الفعل العكسية التي أحدثتها بعثته في العالم اليوناني–الروماني حيث نشأت ديانة هلنستية جديدة اسمها المسيحية وفق عقيدة بولس حتى أنها انتشرت واستهلكت إمبراطورية روما من الداخل ، ومنذ ذلك الوقت حل كريستوس الهلنستي ، محل المسيح وأصبح محطم الوثنية والأصنام صنما بذاته وتلاشت ذكرى المسيح التاريخية تدريجيا أمام شخصية نصف الإله كريستوس الذي مشى على الأرض متخفيا على شكل بشر تماما كما كان ديونيسس قبله .

الفصـــل الثالث : طـــوائف المسيحية وفرقها .

المبحث الأول : الفـــرق الـــمسيحيــة .

المبحث الثاني : الحركات التوحيدية المسيحية .

المبحث الثالث: الأصولية المسيحية في الغرب

الـمبحث الأول : الفـرق المـسيحية

خضعت المسيحية إلى انقسامات ومذاهب كثيرة وخصوصا في عصرها الأول ، وذلك نتيجة لقسوة اليهود والرومان من ناحية واختلاف مصادرها الأصلية ، وتركها لعلامات استفهام حول المصادر ومدى صحتها ومطابقتها كمنهج للمسيح عليه السلام من ناحية أخرى وكان من العوامل التي ساعدت على كثرة هذه الفرق تغلب فرقة أخرى وكان من العوامل التي ساعدت على كثرة هذه الفرق تغلب فرقة على أخرى وكان من العوامل التي ساعدت على كثرة هذه الفرق تغلب فرقة على أخرى ، وقسوتها في التعامل مع الشعب أحيانا ، وخصوصا إذا كان لها حظ لدى أباطرة الرومان ، الذين استعانوا بتأييد الكنيسة لهم أحيانا في مواجهة الثورات التي كانت تهب أحيانا فكان أن أصبح المناخ مناسبا لتكوين هذه الطوائف .

أ. الكاثوليك :

يعتقد الكاثوليك أن مؤسس كنيستهم هو بطرس الرسول كبير الحواريين ورئيسهم وأن باباوات روما وخلفاؤه وتسمى كنيستهم بالكنيسة الغربية ، لامتداد نفوذها إلى الغرب اللاتيني ، أو الكنيسة العامة لأنها تدعى أم الكنائس ومعلمتها [1].

وتتبع كنيسة الكاثوليك النظام البابوي في روما أي الفاتيكان وهو مجمع كنائس مكون من مجلس الكرادلة ويرأسه البابا الذي يعد في نظرهم خليفة بطرس الرسول تلميذ المسيح ووصيته فهو التالي يمثل الله لذا كانت إرادته إلهية .

[1] . نعيمة إدريس ، أزمـة المسيحية ، ص 239 .

ومن تعاليم كنيسة الكاثوليك أن القدس نشأ عن الله الآب والإبن معا ، كما أنها تعتقد بالمساواة الكاملة بين الإله الآب والإله الإبن ، بالإضافة إلى أن المسيح ذو طبيعتين لاهوتيتين ، كما أن الكنيسة تصدر صكوك الغفران من الذنوب لمن يتقدم للاعتراف ، ونص صكوك الغفران [1].

من جانب آخر اعتقد الكاثوليك أن الغضب الإلهي حل على اليهود بسبب جرائمهم المتكررة عبر تاريخهم وأنهم بذلك استحقوا فترة النفي البابلي (586 ـ 539ق م) من ضمن عقوبات إلهية عديدة توجت بطردهم النهائي من فلسطين في عام 70م ، وأما النبوءات بعودتهم إلى الأرض المقدسة فقد تحققت فعلا بحسب المعتقد الكاثوليكي عندما سمح لهم قورش ملك الفرس بالعودة من بابل إلى فلسطين (537 ـ 515 ق م) .

وعلى ذلك فإن طرد اليهود من فلسطين على يد الرومان في العام 70م كان نتيجة مباشرة لرفضهم الإيمان بمسيحهم المنتظر عيسى عليه السلام ، مما أدى لانتهاء وجودهم كأمة وتشريدهم في أصقاع الأرض ، وقد استحقوا هذا العقاب ليس فقط لرفضهم المسيح وتأمرهم على قتله ، بل لأنهم كانوا بعد ذلك يتحالفون مع وحش الرؤيا عدو المسيح ، كلما سنحت لهم الفرصة ، مما جعلهم الأعداء التقليديين للمسيحية .

وأما النبوءات في الكتب اليهودية عن نشوء إسرائيل جديدة فهي بحسب تفسير الكاثوليك تعني نشوء الكنيسة المسيحية بصفتها الوريث الوحيد لإسرائيل ، فبحسب المعتقد الكاثوليكي تعتبر الكنيسة المسيحية تجسيدا لمملكة الله على الأرض ، تماما كما كتب ووعظ أوغسطين منذ القرن الخامس .

ومن المهم ملاحظة أنه قبل حركة الإصلاح الديني البروتستانتية لم يكن هناك أدنى فكرة عند المسيحيين بوجوب إعادة تجميع اليهود في فلسطين ، ولا حتى إعادة تجميعهم كأمة ، لأن فلسطين بحسب معتقد

[1] . عبد الفتاح حسين الزيات ، ماذا تعرف عن المسيحية ، مركز الراية للنشر والإعلام ،ج 1 ، ص 147 .

الكاثوليك لم تكن سوى الأرض المقدسة التي شع منها نور المسيح إلى العالم ، وأن القدس مدينة العهد الجديد الذي حل محل العهد القديم ، وأما بعض نصوص سفر "الرؤيا" بهذا الخصوص فقد فسرت رمزيا وليس حرفيا .

وضمن هذا المنظور الكاثوليكي للأمور ، ليس واضحا تماما كيف توصل البروتستانت للاعتقاد ، كما لو كان فجأة بضرورة إنشاء إسرائيل جديدة في فلسطين كي يعود إليها اليهود ، فلمدة خمسة عشر قرنا لم تعرف المسيحية هذه الفكرة إلى أن قلبت البروتستانتية الموائد برفضها التفاسير الرمزية التي كانت تبنتها الكاثوليكية على مر الأيام ، مما سبب الكوارث لشعب فلسطين خاصة ولشعوب الشرق الأوسط عامة [1] .

وتنبثق من الكاثوليك طوائف أخرى أهمها :

النسطورية :

وهذه الطائفة تنسب إلى نسطور الذي شغل بطريكية القسطنطينية لمدة أربع سنوات قبل أن يخلع وينفى إلى مصر حيث أقام في مدينة أخميم حتى مات ، وكان من آرائه ، أن مريم العذراء لم تلد الإله بل ولدت الإنسان فقط ، ثم إتحد اللاهوت بالناسوت ، إتحادا مجازيا وليس على الحقيقة ، لأن الإله منحه المحبة .

ووهبه النعمة فصار بمنزلة الإبن :

جاءت تعاليم نسطور مخالفة لركن أساسي من أركان العقيدة المسيحية ، وهو التثليث أو الثالوث المقدس ، الذي لا ينبغي لأحد أن ينقضه أو يخالفه ، ولذلك كاتبه الباباكيرلس بطريك الإسكندرية ، ويوحنا بطريك أنطاكية ، كي يعدل عن رأيه أو على الأقل يخفف من نقضه ، ولكنه لم يستجب ، فانعقد مجمع أفسس سنة 431 م وقرر لعنه وطرده ، والتأكيد على أن مريم العذراء ولدت الإنسان والإله ، كما تطور إعتقاد النسطوريين

[1] . متولي يوسف الشلبي ، المرجع السابق ، ص 96 .

في المسيح ، فأصبح اعتقادهم فيه أن فيه أقنومين كما أن فيه طبيعتين ، وقد إلتصق الأقنومان والطبيعتان حتى صار فهمهما رؤية واحدة ، وقد أدخلهم الكنيسة الرومانية في حظيرتها [1].

المـــارونية :

وهذه الطائفة تنسب إلى القديس مارون أعلن سنة 667 م أن المسيح ذو طبيعتين ، ولكنه ذو إرادة واحدة ومشيئة واحدة ، ولكن الكنائس المسيحية لم تقبل هذا الرأي ، ولذلك اجتمع المجمع السادس بمدينة القسطنطينية سنة 680 م وقرر رفض نحلة أو جماعة مارون ، وحرمانه ولعنه و تكفيره ، وتكفير كل من يتبعه ونظرا لما وقع لهم من اضطهاد وأذى ، فقد لجأو ا إلى الفرار ، والاعتصام بجبل لبنان ، الذي أصبح مقرا لهذه الطائفة ، وقد تحايلت الكنيسة الكاثوليكية عليهم وقربتهم منها ، فأعلنوا لها الطاعة ، والإتحاد معها على أن يبقوا على رأيهم ، وبطريكهم الخاص بهم ، وإن كان يقر بالرياسة لباب روما [2].

السريان :

هم عدة طوائف من المسيحيين الآسيويين،يقولون إن المسيح ذو طبيعة واحدة ولكنهم يعترفون برياسة الكنيسة الكاثوليكية عليهم ، وإن كان لهم رأيهم وبطريكهم الخاص بهم .

ب.الأرثوذوكس :

وتسمى كنيستهم الكنيسة الشرقية أو اليونانية ، أو كنيسة الروم الشرقية لأن أتباعها من الروم الشرقيين ، أي من شرق أوربا كروسيا والبلقان .

[1] . متولي يوسف الشلبي ، المرجع السابق ، ص 97 .
[2] . نفسه ، ص 119 .

مقر هذه الكنيسة الأصلي كان مدينة القسطنطينية ، بعد انفصالها عن كنيسة رومان سنة 1054 م ، وتتبع الكنيسة نظام الإكليورس ، ويبدأ من البطريك ، ويليه في الرتبة المطارنة ثم الأساقفة ثم الغمامصة وهم قسس ذو مرتبة عالية ، ويليهم القسس العاديون [1].

أصرت الكنيسة الشرقية على أن روح القدس ، نشأ عن الله الآب فقط كما نادت بأفضلية الإله الآب عن الإله الإبن وتصر على أن المسيح له طبيعة واحدة ، ومشيئة واحدة [2] .

إلى جانب ذلك فالتقدم الحاصل في الحوار اللاهوتي بين الكنيسة الأرثوذكسية والكنائس الأرثوذكسية الشرقية ، بالرغم من أنه أثار اهتمام وإعجاب العديد من اللاهوتيين وحتى الغربيين منهم،خلق نوعاً من ر دة فعل سلبية عند جهات أرثوذكسيةعيّ نةأدّ ت إلى عدم الفهم الواضح بشأن الإيمان العقائد الأرثوذكس .

يشير يوحنا الدمشقي في تعابيره اللاهوتية ، واصفا الخلقيدونيين بطريقة واضحة وغير قابلة للشك هويتهم العقائدية وبالرغم من أن الدمشقي يؤكد طابعهم "الهرطوقي" الكامن في انفصالهم عن الكنيسة الأرثوذكسية نتيجة رفضهم تحديد إيمان مجمع خلقيدونية وبشكل عام كل مقرّ رات هذا المجمع المعروف بالمجمع المسكوني الرابع فإنه لا يتردد بالاعتراف بأرثوذكسيتهم بكل ما تبقى من إيمانهم قائلا ما يلي: اُلشقّ المصريون، المنشقون والمونوفيزيتيون (أصحاب بدعة الطبيعة الواحدة) عن الكنيسة الأرثوذكسية بسبب قرارات مجمع خلقيدونية ،مُّوا مصريين لأن المصريين هم أول من انشق عن الكنيسة الجامعة في عهد الملكَين مركيانوس و أولنتيانيانوس بالرغم من أنهم أرثوذكس في كل الأمور الأخرى رفض هؤلاء المجمع، بناء على تحريض ديوسقورس رئيس أساقفة الإسكندرية الذي حرمه مجمع خلقيدونية لموافقته على تعاليم أوطيخا، وأقاموا عدداً كبيراً من الدعاوى ضده

[1] . متولي يوسف الشلبي ، المرجع السابق ، ص 119 .

[2] . محمد فاروق الزين ، المرجع السابق ، ص 116 .

مثبتين سوء نيتهم وأنانيتهم،لنر َ الآن بالتفصيل ما هي الهوية العقائدية للخلقيدونيين التي يتكلم عنها يوحنا الدمشقي .

إنعدداً محدداً من اللاهوتيين الأرثوذكس يعتقد أن الهوية العقائدية للخلقيدونيين بحسب يوحنا الدمشقي تتحدد في طبيعة إيمانهم الأمر الذي كما يؤكد الباحثون بوضوح من وصف الدمشقي لأولئك في مقالته "عن الهراطقة" بالمونوفيزيتيين ، ولكن يجب أن القول أن اعتقاد اللاهوتيين هو مغلوط بالكلية لأن صفة "مونوفيزيتيين" لا تُطلق لتحديد الهوية العقائدية لديوسقورس وأتباعه ، ولكن لأنها مجرد لقب من بين الألقاب المختلفة التي أطلقت على اللخلقيدونيين والتي كانت مستخدمة في زمن الدمشقي ، فكما يطلق الدمشقي على اللاخلقيدونيين ألقابا مثل "المصريين" و "المنشقين" لأن "المصريين هم أول من انشق عن الكنيسة الجامعة في عهد الملكَين مركيانوس و أولنتيانيانوس، هكذا يستخدم لقب "المونوفيزيتين" لوصفهم انطلاقا من رفضهم لتحديد إيمان خلقيدونية وقبولهم فقط لعبارة القديس كيرلس الإسكندري"طبيعة واحدة للكلمة الإلهي متأنسة (متجسدة)"وليس بسبب إيمانهم بالخريستولوجية المونوفيزيتية التي عبر ّ عنها أوطيخا [1].

كما أنه من الضروري أن نعرف أن يوحنا الدمشقي في مقالته "عن الهرطقات" التي يشرح فيها "الهرطقات" المختلفة التي كانت موجودة في عصره، يذكر أولاً الأسماء التي كانت تعرف بها هذه "الهرطقات" ثم يعرض بعد ذلك تعاليمها وإيمانها هكذا ندرك أن الهوية العقائديةللخلقيدونيين أتباع ديوسقورس يشدّ د عليها الدمشقي في روايته بقوله: "انفصلوا عن الكنيسة الأرثوذكسية بسبب قرارات مجمع خلقيدونية " لكنهم أرثوذكس في كل

[1] . *Albin Michel , Moyen Age (Histoire Et Societe) ,paris , 1997, p 236 .*

الأمور الأخرى، أي بالعلّةالمتمثّلة برفضهم لتحديد إيمان مجمع خلقيدونية وانفصالهم عن الكنيسة الأرثوذكسية التي تقول بطبيعتين بالرغم من كونهم أرثوذكس في أفكارهم[1] .

جدير بالملاحظة هنا أن الدمشقي بكلامه هذا يفصل ديوسقورس وأتباعه عن اللاخلقيدونيين أتباع أوطيخا والذين هم "مونوفيزتيين" .

أيضا يجب أن نفهم أن الدمشقي في وصفه لديوسقورس بأنه "مدافع عن تعاليم أوطيخا" لا يعني أنه كان لديوسقورس نفس الإيمان العقائدي الذي كان لأوطيخا وإلا لكان عليه أن يضعه ضمن "هرطقة" ببساطة فإن اللقب السابق يصف فقط عمل ديوسقورس في المجمع "اللصوصي" سنة 449م حيث، وبسبب دفاعه عن أوطيخا ، أصدر قراراً بتبرئته بالرغم من إدانته كرئيس لهرطقة المونوفيزتيين، لكن الدمشقي يعلم علم اليقين أن ديوسقورس وأتباعه قد أدانوا أوطيخا وتعاليمه فيما بعد ولهذا فهو يعتبرهم،أرثوذكسيين في كل ما تبقى من إيمانهم أي فيما يتعلق بتعاليمهم، بغض النظر عن انفصالهم عن الكنيسة الأرثوذكسية بسبب رفضهم قبول مجمع خلقيدونية ، هذا هو التحليل الصحيح للهوية العقائدية للخلقيدونيين بحسب رأي الدمشقي ويعبر عن الرأي نفسه اثنَين من كبار اللاهوتيين اليونانيين المعروفين عالمياً وهما الأستاذ "يوحنا كارميرس" و"يوحنا رومانيذس" .

بالتحديد فإن الأستاذ كارميرس، في مداخلة قدّمها في اللقاء اللاهوتي المشترك بين الأرثوذكس واللاخلقيدونيين في الدانمارك سنة 1964 م، شدّد على أن "اللاهوتي "يوحنا الدمشقيعبّر" وببراعة عن الموقف الإيجابي للكنيسة الأرثوذكسية تجاه الكنائس الخلقيدونية الشرقية عندما قال أنه يعتبرهم "منشقين عن الكنيسة الأرثوذكسية بسبب قرارات مجمع خلقيدونية ، وأما في كل ما تبقى فهم أرثوذكس"، وبسبب هذا التحديد فإنه يجبتطوير مساعٍ جدّية من قبل الطرفَين لإعادة الوحدة الكنسية بينهما" في المناقشة التي تمت بعد المداخلة

[1] . ج . ويتلر ، الهرطقة في المسيحية ، ص 56 .

صرح الأستاذ كارميرس بأنه وبعد دراسة مستفيضة ليس فقط لنصوص آباء أرثوذكس ولكن لنصوص معلمي اللاخلقيدونيينوصلت إلى نتيجة تؤكد أنه لا يوجد خلاف حقيقي بين الأرثوذكس والخلقيدونيين فيما يتعلق بجوهر الإيمان الخريستولوجي طالما أننا جميعاً نقبل تعاليم "كيرلس الإسكندري"،[1] يوجد خلاف فقط فيما يختص بالمصطلحات وطرق التعبير عن العقائد" موقف الأب "يوحنا رومانيذس" مشابه أيضا للموقف السابق إذ يعتبر الخلقيدونيين أتباع ديوسقورس أرثوذكساً فيما يتعلق بإيمانهم الخريستولوجي ولهذا يذكر في مقالاته مصطلحات مثل "الخلقيدونيين واللاخلقيدونيين الأرثوذكسيين"مشدداً على أن الخلاف اللاهوتي الأساسي بين الطرفَين هو في قبول المجمع المسكوني الرابع المنعقد في خلقيدونية .

لا بد هنا من القول أن " يوحنا الدمشقي" يعطي الانطباع ، في مقاله "التحديد الدقيق للإيمان الأرثوذكسي" ونتيجة مهاجمته الشديدة لديوسقورس وسفيروس، بأنه يعتبرهما "هراطقة" فيما يتعلق بإيمانهم الخريستولوجي عندما يكتب " ليس باختلاطٍو تشوش أو تحو ّل كما يقول ديوسقورس وسفيروس وأتباعهما .." .

من البداية يجب أن نشدد على أن الصفات السابقة لا تتعلّق بإيمان الخلقيدونيين الخريستولوجي والذي لا يختلف عن الإيمان الخريستولوجي الذي علّمه"كيرلس الاسكندري" ولكن بأن ديوسقورس وسفيروس رفضوا قبول المجمع المسكوني الرابع صائرين نتيجة موقفهم هذا قادة الانفصال الخلقيدوني ، وهذا بالتحديد ما يعتبره الآباء السبب الأساسي "لهرطقتهم" وليس خريستولوجيتهم بحد ذاتها.يهم ّ الآباء البتّة فيما إذا كانت خريستولوجيتهم بحد ذاتها أرثوذكسية أم هرطوقية وذلك منذ اللحظة التي رفضوا فيها المجمع المسكوني الرابع على أنه نسطوري وشقّوا بموقفهم هذا الكنيسة،لأن مقياس الأرثوذكسية بالنسبة بشكل عام ليس هو مجرد مقياس اصطلاحي

[1] . أبو اليسر فرح ، الشرق الأدنى في العصرين الهلنستي والروماني ، عير للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، مصر ، 2005 م ، ص 48 .

ولكنه إكلزيولوجي يتّفق مع قبول المجامع المسكونية، هكذا و تجدر بأن ثيوذوريتوس القورشي وإيفاس الرهاوي قد أهانا كيرلس في كتاباتهما ودافعوا عن شخص وتعاليم نسطوريوس، الأمر الذي كان ممكن أن ينعتوا بسببه بالهراطقة ، إلا أنه وبسبب قبولهم لقرارات الكنيسة التي تم التوصل إليها في المجمع المسكوني الرابع وإدانتهم لنسطوريوس اعتبرهما الآباء أرثوذكسيين،لهذا فإن المجمع المسكوني الخامس فيما بعد والذي اهتم بموضوع تعاليمهما الخريستولوجية أدان كتاباتهما النسطورية كما وكتاباتهما المعادية لكيرلس (إدانة الفصول الثلاثة) [1] .

هذا التصرف يشير بوضوح إلى أن مقياس الأرثوذكسية بالنسبة للكنيسة ليس هو إذا كان أحد يعرض بشكل صحيح مضمون تعاليمه العقائدية بقدر ما هو قبول هذا الشخص لقرارات الكنيسة ، هكذا وضمن هذا التحديد فإن رفض المجمع المسكوني الرابع من قبل قادة الخلقيدونيين وأتباعهم يعتبر كافياً بالنسبة للآباء لينعتوهم "بالهرطقة" .

من جهة أخرى من غير المسموح علمياً تفسير الصفات التي أطلقت على الخلقيدونيين من قبل آباء الكنيسة بمعزل عن الظروف التاريخية اللاهوتية التي كانت موجودةآنذاك والتي كان لها تأثيركبير على مجمل كتابات الآباء .

وكما هو معروف فإن ديوسقورس الإسكندري والذي كان السبب الرئيسيللإنقسام الخلقيدوني، لم يُدان من المجمع المسكوني الرابع لأسباب عقائدية ولكن فقط لأسباب قانونية،هذا لا يمكن استنتاجه فقط من الجلسة الثالثة للمجمع والتي أُدين فيها ديوسقورس، ولكن أيضا من تصريح أناتوليوس بطريرك القسطنطينية في الجلسة الخامسة للمجمع إذ قال: "لم يدن ديوسقورس بسبب الإيمان،ولكن بسبب حرمه للبابا ليون ولأنه دعي ثلاث مرات ورفض الحضور لهذا حرم" وذلك في معرض الحديث الذي دار حول عبارة "منطبيعتَين" والتي اعتبرها مندوبو الإمبراطور أنها مونوفيزيتية وربطوها بشخص ديوسقورس مدفوعين إلى ذلك من قبل ممثلي البابا .

[1] . ج . ويتلر ، المرجع السابق ، ص 56 .

تشير الدراسات اللاهوتية أنه لو كان ديوسقورس قد أدين لأسباب عقائدية فإن أناتوليوس لم يكن ليعرض حجة كهذه معارضاً بهذا مندوبي الإمبراطور، لأن هذه الحجة لن يكون لها أية قوة برهانية لإثبات أن الأرثوذكسية عبارة "من طبيعتَين" والتي استخدمها ديوسقورس واحتواها التحديد العقائدي الأولي لمجمع خلقيدونية ،كما أكد ذلك الأب رومانيذس بتعليقه على مداخلة الأستاذ كارميرس في آرهوس سنة 1964م بقوله: "إن ديوسقورس أعتبر أرثوذكسياً بالكلية بالنسبة لإيمانه من قبل أغلبية آباء المجمع الرابع وفي مقدمتهم أناتوليوس بطريرك القسطنطينية" [1].

يجبأن نشدد أيضا على أنه لا يوجد حتى ولا جملة واحدة من كتابات ديوسقورس أو سفيروس يبدو فيها أنهما يقبلانانفصال الطبيعتَين أو تخفيضهما-كما يتهمهما الدمشقي- بل على العكس هناك جمل كثيرة يرفض فيها ديوسقورس كما وسفيروسالانقسام والاختلاط الطبيعتَين وتقليصهما، هذا ما صرح به تماماً ديوسقورس أمام المجمع المسكوني الرابع بقوله: "لا نقول باختلاط أو فصلأو تحوّل فكل مريقول باختلاط أو تحوّل أو انقسام فليكن محروماً "،على فإكل سفيروس أدان علناً وبشكل متكرّر اختلاط الطبيعتَين وتحولهما مشدداً على عدماختلاط وعدم تحوّل الطبيعتَين في المسيح بعد اتحادهما .

بالنتيجة ليس مسموح علمياً أن نعتمد في بحوثنا على الدمشقيحصراً لنعرف تعاليم الخلقيدونيين وخاصة عندما تتوفّر لدينا نصوصهم نفسهالمبرّون فيها عما يؤمنون به وعما لا يؤمنون بكلام آخر،وعندما نريد تدقيق كتابات كتّاب معينين أرثوذكسيين أم لا، ليس من منطق البحث العلمي أن نبني آراءنا على أساس آراء شخص ثالث وليس على النصوص الأصلية للكتّاب ذواتهم ، اعتماد طريقة كهذه لا يمكن اعتبارها بأية حال طريقة علميةعلينا أن نستند ههنا، أولاً وبشكل أساسي على النصوص سفيروس وديوسقورس نفسها لنتوصل إلى

[1] . برتراند رسل ، تاريخ الفلسفة الغربية ، تر زكي نجيب محمود ، مكتبة الأنجلومصرية – القاهرة ، 1956 م ، ص 98 .

نتائج علمية واقعية عن تعاليمهما ، وعندما نرى أن هناك رأياً ثالثاً يختلف عن بحثنا، كما هي الحال هنا مع " يوحنا الدمشقي" أو غيره ، فإنه يجب علينا البحث عن أسباب هذه الخلافات .

السؤال المطروح بالنسبة لكل باحث يدرس خريستولوجية ديوسقورس أو سفيروس من الوجهة العقائدية على ضوء التقليد الأرثوذكسي هو الآتي: لماذا، بينما يرفض ديوسقورس وسفيروس علناً الانقسام والتخفيض في طبيعتي المسيح، يدينهما الدمشقي لأنهما يقبلان الانقسام والتخفيض؟ إن الإجابة على هذا السؤال واحدة ووحيدة: لا يهتم الدمشقي في هذه الحالة بفحص وتحليل تصريحات وكتابات ديوسقورس وسفيروس علمياً ليستخلص منها تعاليمهما الخريستولوجية كما هو نهج العلوم اللاهوتية اليوم،لهذا فإن مقياس تقدير ديوسقورس وسفيروس وأتباعهما من الخلقيدونيين هو أنهم لا يقبلون المجمع المسكوني الرابعوتحديد إيمانه، الذي يتحدّث عن "عدم اختلاط" و"عدم تحول" بينطبيعتي المسيح بعد الاتحاد، هذا هو بالضبط ما أعطى الحق للدمشقي لاتهامهبأنهم يرفضون الوحدة في طبيعتي المسيح بدون اختلاطوتحوّل، وبأنهم بذلك يقبلون المزج والتخفيض بينهما حتى ولو قالوا أنهم يرفضون "الاختلاط" و"التحول"،يتعلقالأمر إذن باتهام يوجّه لهم دائماً بالاستناد إلى ما قلناه سابقاً وليس بالاستناد إلى دراسة علمية قام بها الدمشقي لنصوص وكتابات كل من ديوسقورس وسفيروس، لمكن يهمه هذا النوع من البحوث لأن الهدف من كتاباته كان دفاعياً ورعائياً [1]، أراد حماية القطيع الأرثوذكسي من خطر التأثر بديوسقورس وسفيروس وبالتالي رفض قرارات المجمع المسكوني الرابع لم يكنهمّه بشكل خاص طبيعة خريستولوجيتهم ما إذا كانت أرثوذكسية أم لا[2]،لهذا فالخلقيدونيون منشقّون طالما أنهم يرفضون القرارات المسكونية للكنيسةالجامعة المعبّر عنها في المجمع الرابع.

[1] . سعيد عبد الفتاح عاشور ، النهضات الأوروبية في العصور الوسطى وبداية الحديثة ، القاهرة 1956 م ، ص 75 .
[2] . نفسه ، ص 78 .

يجب أن ندرك دائما أن الآباء في الكنيسةالأرثوذكسية هم بالدرجة الأولى رعاة، فهم كرعاة لا يهتمون بدرجة كبيرة بالتحليل العلمي بقدر ما يهتمون بحماية رعيّتهم من خطر "الهراطقة" لهذا السبب فهم لا يهتمون بالدقة العلمية الكاملة في كثير من الأحيان في حربهم ضد "الهرطقاتمّا يهمّهم فعلاً وبالدرجة الأولى هو المواجهة الرعائية للهرطقات وليس المقاربة العلمية الدقيقة لها خاصة عندما لا تخدم هذه المقاربة أهدافهم الرعائية هذا الأمر يشكل أساساً هاماً لكل من يريد أن يقرأ ويفهم كتابات الآباء اللاهوتيين خاصة إن أراد الوصول إلى نتائج صحيحة،ومن المفيد أن نذكر هنا أن"غريغوريوس"يؤكد هذه القاعدة الأساسية مستنداً إلى رأي القديس باسيليوس الكبير فيقول:"تضارب الآراء في شؤون التقوى شيء، وتضاربها في شؤون اعتراف الإيمان أمر أخر بالكلّية، ففي الأولى لا داعي للحرفية التعبيرية، كما يقول القديس باسيليوس الكبير، بينما تصان وتحفظ الحرفية التعبيرية في أمور اعتراف الإيمان" [1] .

إنّخطأ منهجيّ ، ومن باب الطلب العلمي ، أن يؤخذ بالحرف ما قاله الأرثودوكس ضد "الهراطقة"كما لو كان الأمر يتعلق بدراسات حديثة علمية، في الوقت الذي يوضح فيه الآباء أنفسهم أنه ليس من الضروري أن يكون هناك دقة كبيرة وحرفية في الكلمات في كتاباتهم ضد الهراطقة ، الدقة تُحفظ وتُطلب" فقط في اعتراف الإيمان أي عند صياغة العقائد الأرثوذكسية،هذا لا يعني بالطبع أن الآباءتجنّبوا أن يصيغوا مرات كثيرة صياغات قريبة جداً للمقاربات العلمية الحديثة والمعاصرة، إن لم تكن متطابقة ، كما هي الحال في مقاله الدمشقي "عن الهراطقة" المذكورة أعلاه،ولكن عدم اعتبار الآباء مجرد بحّاثة لاهوتيين معاصرين هدفهم فقط إظهار الحقيقة التاريخية، لم يهتموا بأمر كهذا خاصة عندما لا تخدم، أو بالأحرى عندماتتهدّد، وحدة الكنيسة.

[1] . *Deanesly , AHistoire Of the early Medieval Europe , London, 1935 , p 456 .*

يمكن الإجابة على عدة أسئلة لها علاقة مباشرة بتسمية الخلقيدونيين أتباع ديوسقورس بـ "أرثوذكسيين"طالما أن أغلب اللاهوتيين الأرثوذكسيين يعارضون هذه التسمية،هل من القانوني من وجهة النظر الأرثوذكسية تسمية ديوسقورس واتباعه بالأرثوذكسيين؟ هل يتساوون في هذه الحالة نحن أعضاء الكنيسة الأرثوذكسية ولا تتعارض هذه التسمية مع كتابات الآباء الذين يعتبرونهم منشقين عن الكنيسة الأرثوذكسية ؟.

على الرغم من أنه قد أجيب على هذه الأسئلة فيما سبق، ولو بشكل غير مباشر، إلا أننا الآن سنجيب عليها بوضوح وتفصيل أكبر، يجب في البداية أن نفهم معنى الأرثوذكسية الحقيقية عند آباء الكنيسة ، فهو لا يتضمّن معنى اصطلاحياً ولكن إكلزيولوجياً ، لهذا السبب بالتحديد لايتردّد آباء الكنيسة في اعتبار بعض الآباء السابقين لهم قديسين لا بل ومعلمين كبار، على الرغم من أن لديهم بعض وجهات النظر العقائدية الخاطئة، شرط بقائهم حتى نهاية حياتهم في شركة مع الكنيسة. وكمثال على ذلك "غريغوريوس"كما وأعطى الآباء صفة "أرثوذكسي"[1] من وجهة نظر اصطلاحية لبعض "الهراطقة" الذين صانوا أرثوذكسيتهم تجاه جوهر العقيدة ولكنهم انشقّوا عن الكنيسة واعتُبروا منشقّين لأنهم قطعوا شركتهم مع الكنيسة . وكمثال واضح على ذلك هو ما كتبه " يوحنا الدمشقي" الذي يطلق صفة "أرثوذكس" ليس فقط على ديوسقورس وأتباعه بل وعلى غيرهم من المنشقين أيضاً .

وإليكم كيف يصف الدمشقي فئتَينأخريَين من المنشقين عن الكنيسة وهم "المبتهلون" و "القاطعين ذواتهم عن الشركة مع الكنيسة إذ يقول عن الفئة الأولى تتكوّن من النساك وهم أرثوذكس في كل شيء ما عدا أنهم يجتمعون مع نساء نساك مثلهم ويقدمون تسابيح لله برقص وآلات"،و أما عن الفئة الثانية فيقول: "هم أرثوذكس في كل الأمور ولكن وبسهولة ولسبب بسيط فصلوا أنفسهم عن الكنيسة الجامعة وعن الشركة معها".

[1] . *Deanesly , AHistoire Of the early Medieval Europe, p 456* .

إذا كان معنى "الأرثوذكسية" كامن فقط في المصطلحات اللاهوتية، لا أكثر ولا أقل، فإنه من غير الممكن بالنسبة " يوحنا الدمشقي" وهو المعروف بدقة تعابيره العقائدية، أن يصف هذه المجموعات بالأرثوذكسية لا بل ويشدّ د "أرثوذكس بحسب كل شيء"، وذلك لأن هذه الصفة كانت ستعني مساواتهم مع أعضاء الكنيسة الأرثوذكسية نفسها الأمر الذي سيؤدي إلى ظهور تناقض كبير في كتاباته وكتابات غيره من الآباء الكنسيين الذين يعتبرونهم منشقين، بالنتيجة فإن صفة الأرثوذكسية التي يطلقها الدمشقي على المنشقين المذكورين أعلاه تتعلق بالتحديد وفقط في جوهر العقيدة ولها بالتالي طابع اصطلاحي مجرد. لكن الدمشقي الذي يستخدم هذه الأرثوذكسية الاصطلاحية يعتبرها غير كافية ولهذا فهو يدرجهم في عداد المنشقين في مقالته "عن الهراطقة". وبحسب رأينا فإن الوصف الخاص الذي يطلقه الدمشقي على "القاطعين ذواتهم من الكنيسة"يعطينا فكرة واضحة بأي شيء تختلف الأرثوذكسية الاصطلاحية عن الأرثوذكسية الحقيقية، والتي ليست هي مجرد مصطلحات بل هي في جوهرها مع الكنيسة، إنه مدهش حقا أنه بالرغم من تسميتهم أرثوذكساً بحسب كل شيء" إلا أنه يدرجهم في عداد "الهراطقة" لا لسبب آخر سوى أنهم انشقوا عن الكنيسة إذن، الأرثوذكسية الاصطلاحية شيء – ويمكن أن تطلق حتى على المنشقين الذي حافظوا على التعاليم والعقائد الصحيحة،والأرثوذكسية الحقيقية والكاملة شيء آخر بالكلية – والتي هي أرثوذكسية بحسب جوهر العقيدة وهي شركة مع الكنيسة وتُ طلق فقط على الأرثوذكس المنتمين إلى نفس الكنيسة، هكذا ففي حال عدم وجود البعد الكنسي للأرثوذكسية فإن الأرثوذكسية الاصطلاحية وحدها لا تكفي حتى يعتبر أحد ما أرثوذكسياً مع الكنيسة هي التي تعطي للأرثوذكسية الاصطلاحية كمالها .

بالتالي صار واضحاً الآن لماذا بإمكان الآباء إطلاق صفة الأرثوذكسية حتى على المنشقين بعد التأكد من حفظهم الإيمان والعقيدة ، فلا يجب أن لا يتعثر أحد من هذه التسمية ظاناً أنه يشكك بكتابات الآباء

وبضمير الكنيسة الحيّ عندما يتحدّث عن أرثوذكسية ديوسقورس وأتباعه ، فقط من لا يميز بين الأرثوذكسية الاصطلاحية وأرثوذكسية الشراكة يمكن أن يقع بلغط كهذا وبالتالي يتوصل إلى نتائج مغلوطة، يجب أن يكون واضحاً لدى الجميع أن موضوع الأرثوذكسية الاصطلاحية لايهمّ الكنيسة وإنما العلم فقط، بالنسبة للكنيسة الأمر محلول وببساطة: ديوسقورس وأتباعه الخلقيدونيين منشقّون لأنهم رفضوا قبول مقرّرات الكنيسة الجامعة في المجمع المسكوني الرابع المنعقد في خلقيدونية [1] ، يأتي الآن دور العلوم اللاهوتية وخاصة العلوم اللاهوتية التاريخية والعقائدية لتتحقّق من مدى الأرثوذكسية الاصطلاحية لهؤلاء "المنشقين" باعتماد دراسة نصوصهم وكتاباتهم المختلفة، ومن دراسات وبحوث كهذه يمكنها الإجابة على الأسئلة المختلفة التي طالما راودت أذهان الآباء، ومنها على سبيل المثال:

1- هل يقبل ديوسقورس وأتباعه مساواة الطبيعة البشرية في السيد المسيح ؟

2- هل يقبل ديوسقورس وأتباعه التمييز بين الطبيعتَين في شخص المسيح المتجسد بعد الاتحاد، على أساس الأعمال وذلك بالاعتماد على تبادل الصفات، فينسبون الأعمال الإلهية للطبيعة الإلهية والأعمال البشرية للطبيعة البشرية في المسيح ؟

3- هل يفهم ديوسقورس وأتباعه تعابير مثل "منطبيعتَين" و"طبيعة واحدة بعد الاتحاد" بحسبتفسير كيرلس الاسكندري أم بحسب تفسير أوطيخا؟

4- هل ينجم رفضهم عبارة "طبيعتَين" عن إيمانهم بخريستولوجية أوطيخا المونوفيزيتية أم بسبب خوفهم من الذيوفيزيتية النسطورية ؟ .

[1] . كيرلس الأنطوني ، المرجع السابق ، ص 89 .

بالطبع يحقّ للدراسات والبحوث التاريخية والعقائدية اللاهوتية وأطروحات الدكتوراه الإجابة، فهذا دور البحث والتنقيب لإعطاء النتائج العلمية الدقيقة، وهي لاتحرح على الإطلاق ضمير الكنيسة الحيّ وآباءها القديسين ولا تمس الإيمان الحقيقي المعطى لهم مهما كانت النتائج .

بعد كل ما قلناه بات واضحاً على ما أعتقد، أن" يوحنا الدمشقي" بالرغم من اعتباره للخلقيدونيين منشقين عن الكنيسة بسبب رفضهم للقرارات المجمع المسكوني الرابع، إلا أنه لايتردّد في الاعتراف بأرثوذكسيتهم الاصطلاحية واصفاً إياهم بالأرثوذكس بكل ما تبقى من إيمانهم .

هذه النتيجة لها أهمية كبرى ويمكن أن يكون لها دور حاسم في عملية دفع الحوار اللاهوتي بين الأرثوذكس والخلقيدونيين الذين يُعرفون، منذ أن انطلق الحوار بين الطرفَين، بالكنائس الشرقية الأرثوذكسية وبكلام آخر يود الأرثوذكس في حوارهم معهم الاعتراف بالمجمع المسكوني الرابع وبالتالي ببقية المجامع المسكونية اللاحقة كالمجامع المقدسة والمسكونية هكذا كما برفضهم المجمع المسكوني الرابع انشقوا عن الكنيسة، كذلك باعترافهم به يعودون إلى أحضان الكنيسة الأرثوذكسية وتُلغى بذلك كل الأسباب التي أدت إلى ابتعادهم وانفصالهم وعلى هذا الأساس[1] .

[1] . ديفير هـ ، و ، أوربا في العصور الوسطى ، تر عبد الحميد حمدي محمود ، دار المعارف، ط1 ، القاهرة ، ص 38 .

ج. البروتستانت :

الكنيسة البروتستانتية ، تركز على التعليم العقلاني ، ولذلك ثارت على البدع المتفشية في الكنيسة الكاثوليكية (حسب منظور البروتستانت)، ورأت فيها جنوحا تعاليم السيد المسيح عليه السلام ، لذلك جاءت عقيدتهم في القربان المقدس على أنه خبز حقيقي وخمر حقيقية ، ولن يتحولا بأي من الأحوال إلى جسد المسيح ودمه ، وإنما يمارسان للذكرى فقط.

كذلك ليس للقسيس البروتستانتي هيمنة على مقدرات شعب الكنيسة ، فالجميع مستاؤون أمام الله ، والجميع يتقدمون أمام الله بإيمان يقيني يبعث فيهم الثقة ، وكل إنسان عن عمله أمام الله مباشرة ، والله يجزي كل إنسان بعمله .

ومن هذا الإعتقاد فإن الكنيسة البروتستانتية تزين جدرانها بنصوص من التوراة ، أو من العهد الجديد ، وكلها تحض على الإيمان الحقيقي المصفى .

الكنيسة البروتساتانية لا تعترف بالبابوية ، ولا بالرتب الكهنوتية فالكل سواء ، وإنما التفاضل يكون بالحياة المثلى كما قال المسيح ، كما يطلق على المذهب البروتسانتي مذهب الإصلاح الديني ، الذي نادى به الزعيم الأول للبروتستانت لوثر الذي حاول أن يغير من المفاهيم الخاطئة التي أدخلت على تعاليم المسيح ، ولكنه في الواقع لم يستطع أن يغير شيئا ، ولم يبطلوا أصلا من الأصول التي قامت عليها المسيحية بعد رفع المسيح عليه السلام ، لكنهم فتحوا باب العداوة بينهم وبين الطوائف المسيحية .

المبحث الثاني : الحركات التوحيدية المسيحية

بعد مرور حوالي ألف عام على اضمحلال أخر الأريسين في أوربا ، ظهرت عقائدهم من جديد على إثر نجاح حركات الإصلاح الديني البروتستانتي في مطلع القرن السادس عشر مما أدى لولادة مناخ فكري في أوربا يسمح من الاستفادة من العقل والفكر السليم ، فتطورت حركات مسيحية توحيدية نبذت عقيدة الثالوث ورفضت تأليه المسيح و أعلنت أن الله واحد أحد ، وأصرت على وجود استخدام العقل والمنطق السليم في الدين وقد كان ذلك بمثابة عودة إلى الفكر النصارى الأوائل ومن خلفهم من الأبيونيين والأريسيين الذين كانوا قد زالوا من الوجود نتيجة لقمع الكنيسة المسيحية لهم [1].

إزدهرت الحركات التوحيدية الجديدة بشكل خاص في كل من بولونيا ورومانيا وانجلترا ثم انتقلت منها إلى العالم الجديد في أمريكا ، وقد أصرت هذه الحركات انه لا يوجد في الكتاب المقدس ما يبرر عقيدة التثليث لكنها سرعان ما تعرضت لاضطهاد الكنيسة وخاصة في إيطاليا حيث تم عام 1553م إحراق أحد مشاهير التوحيديين حيا وهو الطبيب ورجل الدين الاسباني "**مايكل سرفتس**" وكان قد نشر كتابين عن أخطاء التثليث و العودة إلى النصرانية،وفي بولونيا ازدهرت الحركة التوحيدية بزعامة رئيسها **فاوستوس سوسينوس** وقد استمرت لحوالي قرن من الزمن حتى عام 1658م ثم انتهت على اثر إنذار أعضائها بالخيار بين مغادرة البلاد أو الموت أو الانضمام إلى الكنيسة الكاثوليكية فكان معظم أتباعها في رومانيا وهنغاريا [2].

[1] . سعيد عبد الفتاح عاشور ، المرجع السابق ، ص 90 .

[2] . ايبرهارد آرنولد ، المسيحيون الأوائل ، تر محمد شلبي ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، دمشق ، ص 35 .

انشقت الحركة التوحيدية عن كل من الكنيستين الكاثوليكية والبروتستانتية وأكدت أن الصلاة يجب أن توجه لله تعالى فقط لأن المسيح مجرد بشر ، ورغم أن الكنيسة قبضت على زعيم الحركة دايفد فيرنك وسجنته عام 1579م حتى مات في سجنه إلا أن الحركة بقيت مستمرة إلى يومنا هذا [1].

وفي فرنسا ظهر الفيلسوف الشهير فولتير (1694 ـ 1778 م) الذي جسد الحركة التي عرفت فيما بعد بعصر التنوير فاتهم الكنيسة بأنها ابتدعت عقائد غير مفهومة ومناقضة للعقل ونسبتها إلى الله تعالى[2]، وأنها باضطهادها الكثيرة لمخالفيها أغرقت العالم في الدماء ، وأن الديانة الصحيحة يلزم أن تؤمن بإله واحد وأن تتسم بتسامح والعدالة ، وفي مؤلفه "قاموس الفلسفة" احتج لان الإيمان بإله واحد أمر منطقي وطبيعي في الفطرة أكثر من الإيمان بتعدد الآلهة،وأن البشر في الأصل عبدوا إلها واحدا،أما الظاهرة الوثنية وعبادة آلهة متعددة فقد جاءت في وقت متأخر ، وهاجم فولتير الإلحاد واعتبره شرا مستطيرا عند الحكام الملحدين وعند النخبة الملحدة التي تتسامح مع الحكام ، وعند فولتير أن الإلحاد ليس سوى خرافة و هوس [3]، و أن المشكلة ليست في التوحيد و إنما هي في العقائد المبتكرة التي تستخف بالعقل ، وقد ردت الكنيسة عليه بأن أحرقت رسائله الفلسفية عام **1734**م علنا في ساحة باريس مما اضطره للهرب إلى الريف .

وفي انجلترا ظهر عالم الفيزياء والرياضيات الشهير إسحاق نيوتن (**1642 ـ 1727م**) فبذل جهدا لإنقاذ المسيحية من الخرافات ، وقرر أنه يمكن التوصل للإيمان بإله واحد بمجرد التفكر في خلق الكون وما فيه من إعجاز ، ودون الالتفات إلى الكتاب المقدس ، كما قرر أن عقائد الكنيسة هي في مستوى من الجهل والخرافة

[1] . سبنسر ليود وأندريجي كرور، عصر التنوير، ترجمة إمام عبد الفتاح المجلس الأعلى للثقافة ، مصر، ط 1، 2005 م ، ص 45 .

[2] . باور فرانكلين، الفكر الأوربي الحديث–الاتصال والتغير في الأفكار، تر أحمد حمدي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب،ج1 ،1987 ، ص 54.

[3] . إبراهيم مصطفى إبراهيم :الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم، دار الوفاء مصر،2000 م ، ص 76 .

وكان تواقا لتخليص المسيحية من اللامعقول كتأليه المسيح والتثليث،وتوصل لنتيجة أن أريوس كان على حق في مؤتمر نيقية ، فالمسيح لم يكن إلها ، وأن ما ذكر في العهد الجديد بخلاف ذلك ليس سوى زيف وتلفيق من اختلاق أثاناسيوس أسقف الإسكندرية الذي كان معاديا لأريوس، وأن المسيح كان من الأنبياء الذي بعثوا لدعوة البشر للعودة إلى الحق ولكن بعثته فسدت بسبب أثاناسيوس وزمرته،مع أن الدين يجب أن يكون معقولا[1].

كما ظهرت في انجلترا الشاعر المعروف جون ميلتون (**1608 ـ 1674م**) صاحب قصيدة الفردوس المفقود وكان من طائفة منشقة من البروتستانت عرفت بالتزمت وأطلق عليها إسم "بيوريتان" أي المتطهرين وكان شديد الانزعاج من سجل الكنيسة المتعصب وكتب مؤلفه "**العقيدة المسيحية**" بهدف إصلاح ثورة الإصلاح الديني "البروتستانت" وشكك بعقيدة التثليث .

وفي انجلترا ظهر أيضا التوحيدي العالم الكاهن جوزيف بريستلي(**1773 ـ 1804م**)فانشق عن كنيسة انجلترا مؤكدا على إنسانية عيسى وعلى أهمية استخدام الفكر في الدين ، ثم انتشرت التوحيدية لدى بعض أعضاء البرلمان الانجليزي ولدى المتعلمين وصار يطلق عليهم لقب المسيحيين الأحرار[2] .

وفي ألمانيا كتب أستاذ اللغات الشرقية في جامعة هامبورغ صمويل رايموس (**1694 ـ 1768م**) نقدا لقصة حياة المسيح التقليدية واتهم مؤلفي الأناجيل بالخداع المعتمد ولفت الأنظار أن المسيح لم يدع قط أنه جاء

[1] . سبنسر ليود وأندريجي كرور،عصر التنوير، تر إمام عبد الفتاح المجلس الأعلى للثقافة ، مصر، ط 1، 2005م، ص41.
[2] . فولتير ، الرسائل الفلسفية، تر عادل زعيتر، دار المعارف، 1959 م ، ص 105 .

ليفتدي خطايا البشرية وأن هذه الفكرة التي تمحورت حولها المسيحية الغربية هي من إبتداع بولس المؤسس الحقيقي للمسيحية .

وهكذا تزايدت أعداد الناس في أوربا وبخاصة المفكرين منهم ، ممن شعروا بالإحراج الشديد من قسوة تاريخ الكنيسة خلال حملاتها الصليبية الرهيبة ومحاكم التفتيش والإضطهادات التي ارتكبتها باسم الدين،ويبدوا أن حمامات الدماء التي نتجت باسم الدين التي نتجت عن ثورة الإصلاح الديني ،[1] وما بعدها كانت بمثابة القشة التي قصمت ظهر البعير .

غير أن ظهور الحركات التوحيدية في أوربا لا يعني أن أصحابها وجدوا البديل في الإسلام ، فمثلا نلاحظ أن الكاهن الانجليزي جوزيف بريستلي قد تجاهل الإسلام كما لو لم يكن يعلم عنه شيئا ، وأما الفرنسي فولتير فقد بدا عدوانيا سافرا في كتابه عن حياة النبي صلى الله عليه وسلام .

وفي أمريكا تطورت التوحيدية ببطء في الولايات الشمالية الشرقية وخاصة بين الذين رفضوا حركة الإحياء الديني التي عرفت بصحوة الكبرى خلال النصف الأول من القرن الثامن العاشر ، وقد رأى زعماؤها أنه يجب أنه يجب الاعتدال وإتّباع الفكر السليم بدلا من حماس الإحياء الديني ، وأطلقوا على عقيدتهم اسم "المسيحية التوحيدية" ووصفوها بأنها عقيدة منسجمة من الفهم السليم إذ تؤكد وحدة الخالق وأنه يمكن قبول الكتاب المقدس شريطة تفسيره بصورة منطقية وفي سنة **1825**م أسسوا ما سموه الجمعية التوحيدية الأمريكية ومع نهاية القرن التاسع عشر تبنت الجمعية سياسة التسامح والاعتراف بأنه ثمة حقيقة في الأديان غير المسيحية ، ثم في

[1] . ينظر :حنفي حسن، قضايا معاصرة في الفكر الغربي المعاصر، دار الفكر العربي ، القاهرة، ج2 ، ط3 ، 1988م ، ص 135.

العام **1961**م اتحدت مع الكنيسة الأمريكية العالمية وأصبح اسمها الجمعية العالمية التوحيدية[1] ، غير انه نشأت جمعية أخرى حلت محل الجمعية التوحيدية الأمريكية أطلقت على نفسها اسم المؤتمر التوحيدي الأمريكي ، وهذا المؤتمر يعتبر مؤسسه وليام تشانينغ (**1780 ـ 1842**م)الذي كان قسيسا في إحدى كنائس بوسطن ، وهم كالجمعية التي سبقتهم يرفضون العقائد المتوارثة عن طريق الكنائس ويؤكدون على وحدانية الخالق وإنسانية المسيح ، ومسؤولية الإنسان عن عمله ، وإمكانية تحقيق النجاة ليس بالضرورة فقط عن طريق الديانة المسيحية بل بأديان أخرى أيضا [2].

1 . برجر بيتر ، الدين في الضمير الحديث، ترجمة عبد المجيد الشرفي وآخرون نشر الجامعة التونسية ، ط 1 ، ص 21 .

2 . غردية لويس ، فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية، تر صبحي الصالح، دار العلم للملايين، ج1 ،1978 م ،ص 32.

المبحث الثالث: الأصولية المسيحية في الغرب

ظاهرة المسيحية المتصهينة أو المسيحية الأصولية ، ذرت قرنها في أوربا في أوائل القرن السادس عشر مع انفجار ثورة الإصلاح الديني البروتستانتية على مسرح الأحداث، فكان من شأن النهضة الأوربية وثورة الإصلاح الديني المذكورة أن مهدا السبيل معا لتاريخ الغرب الحديث،ومن ذلك الحين بدأ اليهود في البروز عند البروتستانت الغربيين في منظور هام وجديد ، بعد أن كانت الكنيسة تعتبرهم أعدائها التقليديين تاريخيا ولقرون طويلة ، وهذا المنظور الجديد ، وهو منظور متعاطف وداعم لليهود ، يتلخص في وجوب إعادة تجميع اليهود في فلسطين تنفيذا **"الخطة إلهية"** سوف تتوج بالمجيء الثاني للمسيح .

وبنتيجة إقحام اليهود في هذه الخطة وبهذا التصور الجديد تكيفت بالتدريج مفاهيم ومعتقدات البروتستانتية فيما يتعلق بالصهيونية على النحو التالي :

1. الاعتقاد الجازم بالعهد القديم جزءا من الكتاب المقدس .
2. التفسير الحرفي وليس الرمزي لنصوص الكتاب المقدس .
3. تجديد الإيمان بالمجيء الثاني للمسيح بحسب نبوة بولس منذ ألفي عام .
4. ضرورة إنشاء وطن لليهود في فلسطين وإعادة تجميع اليهود فيه كشرط مسبق لتحقيق المجيء الثاني .
5. التطلع نحو تحقيق المملكة الألفية السعيدة التي سوف يكون المسيح على رأسها .
6. التأكيد على واجب المؤمنين العمل على تمهيد الطريق لتحقيق المجيء الثاني بأسرع وقت .

كان مبدأ العودة إلى نصوص الكتاب المقدس أساس الدعوة التي بدأها مارتن لوثر (**1483 ـ 1546م**) في ألمانيا اعتقد لوثر أن الكتاب المقدس معصوم من الخطأ ، في حين أن البابا ـ خلافا لما كان شائعا حتى ذلك الوقت معرض للخطأ مثل غيره من البشر ، وعلى هذا يلزم أن يكون الكتاب المقدس هو المرجع الأول الذي يجب العودة إليه وليس البابا ، ولهذا السبب رأى لوثر وجوب ترجمة الكتاب المقدس إلى اللغات الوطنية المحلية ليكون في متناول عامة الناس وليس حكرا على النخبة فقط ، أو على رجال الدين الذين كانوا حتى ذلك الحين يقرؤونه باللاتينية طبعة الفالجيت ، أو بالآرامية طبعة البسيطة [1].

وفي حين كان مارتن لوثر يخوض صراعا مريرا ضد الكنيسة الكاثوليكية في ألمانيا ، أمر الملك هنري الثامن في انجلترا بقطع العلاقات مع البابا وإنهاء الهيمنة البابوية والكاثوليكية التي استمرت قرونا من الزمن ، وفي العام **1538م** صدر الأمر الملكي البريطاني بتحرير كنيسة انجلترا من السلطة البابوية ، وأصبح الملك هنري الثامن نفسه رئيسا لكنيسة انجلترا [2].

ولم يكتف البروتستانت بإعلان مرجعية الكتاب المقدس فوق سلطة البابا ومرجعيته بل ذهبوا أكثر من ذلك إذ أعلنوا البابا عدوا للمسيح ، أي الوحش المذكور في رؤيا يوحنا قال لوثـر (إن البابا هو العدو الحقيقي للمسيح) وقال أيضا : (إن إدانة البابا بوصفه عدو المسيح مسألة حياة أو موت بالنسبة للكنيسة) لقد نظر البروتستانت إلى الكاثوليكية على أنها تركيبة من الخرافات و الهرطقات واعتبروا الكنيسة الكاثوليكية عدوا للإيمان الحقيقي وفي مرحلة لاحقة بعد أن هاجر الأمريكيون من أوربا إلى القارة الجديدة اكتشفوا أن الكنيسة الكاثوليكية هي النبي

[1] . فولتير، المرجع السابق ، ص 105 .

[2] . *Mordillat Gérard et Prieur Jérome : Jésus après Jésus, l'origine du christianisme, - seuil, France, 2004 ،p32.*

المزيف بعينه المذكور في رؤيا يوحنا (**رؤيا 20/19**) والذي يساند الوحش عدو المسيح **"البابا"** في جهوده كي يعبده العالم أجمع .

لكن البروتستانت لم يبقوا وحيدين في عداوتهم للبابا،ففي العصر الحديث عندما قام البابا يوحنا بولس السادس بزيارته إلى اليونان ، قابلته جماهير الأرثوذكس بمظاهرات معادية صاخبة وهي تحمل لافتات كتب عليها أن البابا هو العدو الأكبر للمسيحية وحملات صورا تشبهه بالشيطان .

وهكذا بنتيجة حركة الإصلاح الديني وبعد مرور ستة عشر قرنا على بعثه المسيح تمت ترجمة الكتاب المقدس إلى اللغات المحلية ، وبدأت طباعته وأتيح للمسيحيين لأول مرة في التاريخ شراء واقتناء وقراءة الكتاب المقدس وتفسيره بلا تدخل من الكهنوت،فصار يقرأ في الكنائس وفي الاجتماعات العامة وفي مدارس الأحد للأطفال باللغات المحلية مما اكسب الناس بالتدريج فكرة عن أسماء الأعلام والمواقع والأمكنة المذكورة فيه ، وبتكرار هذه القراءات بما فيها قصص العهد القديم ، أصبحت قصص الكتاب المقدس بقسميه العهد القديم والجديد مألوفة لدى عامة الأوربيين لدرجة أن أصبحت جزء هام من الأدب والفكر الأوربي، وبالتالي بدأت تؤثر تدريجيا على نظرة أوربا تجاه المشرق وخاصة نحو فلسطين .

ومن هذا المنظور أصبحت اللغة العبرية جزءا من الثقافة الأوربية باعتبارها اللغة المقدسة المفترض أن تكلمها ادم ونوح وإبراهيم على حسب ظنهم [1]، وهي اللغة التي خاطب بها الله تعالى كليمه موسى ، وهكذا صاروا ينظرون للعبرية لغة هامة ، ليس فقط في الدراسات الدينية ، وإنما أيضا لغة رديفة ، مع بقية اللغات الأوربية حتى أن الكهنوت من قطاعات أخرى من المجتمع صاروا يبذلون جهودا ووقتا كبيرا لتعليم العبرية باعتبارها اللغة

[1] .فريمان ريتشارد إليوت ، من كتب التوراة ، ترجمة عمر زكريا ، دار البيان للنشر والتوزيع،القاهرة، ص 43 .

الأم للعهد القديم ، وأدى ذلك لاعتقاد الكثير من البروتستانتيين أن فلسطين ارض يهودية ومسخوا تاريخها قبل المسيح واختزلوه إلى القصص المروية في العهد القديم بغض النظر عن قصر المدة التي أمضاها اليهود في فلسطين .

وهكذا بنتيجة الحماس المتجدد والاهتمام الطارئ بالعهد القديم وانتشار الكتب والدراسات العبرية في الجامعات والمراكز الثقافية ، بنتيجة كل ذلك تم شحن العقل الأوربي بمفاهيم ومعتقدات جديدة عن فلسطين وعن اليهود ، فبرزت على السطح ما أطلق عليه **"المسيحية المتصهينة"** أو **"المسيحية المتهودة"** أو الأصولية المسيحية اختصارا ، واليوم يطلق تعبير **"المسيحيين الأصوليين"** على البروتستانت المؤمنين بعصمة الكتاب المقدس[1]،وبالتفسير الحرفي له وبضرورة وجود إسرائيل جغرافيا في فلسطين كمقدمة لابد منها للمجيء الثاني للمسيح .

وقد وصل الفكر المسيحي الأصولي إلى حد اعتبار الحضارة الغربية بمجملها تراثا يونانيا ـ رومانيا ـ يهوديا، وليس تراثا يونانيا رومانيا فقط ، ولذلك وضمن المنظور ، وصفت حركة الإصلاح الديني البروتستانتية بأنها نهضة عبرانية يهودية [2].

[1] . موافي عثمان ، منهج النقد التاريخي الإسلامي والمنهج الأوروبي ، مؤسسة الثقافة العربية، مصر،1976 ، ص 43 .

[2] . راسل برتراند، تاريخ الفلسفة الغربية، تر زكي نجيب محمود، مراجعة أحمد أمين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط2 ، ج 1968 ، ص 54 .

الخـــــاتمة

الخاتمة

ككل بحث يحاول الخروج بجملة من النتائج ، فإنه ومن خلال التعرض للمسيحية، عبر تاريخها البعيد المليء بأهم وأخطر التحولات التاريخية، وتداعيات تلك التحولات التي مست عقيدة المسيح الأصلية وتحولت على أثرها من ديانة سماوية إلى ديانة مجَامعية ، إلى جانب تصادمها مع أراء أرادت أن تعيد المعدن الأصلي للعقيدة مبدئيا نقول إنّه من الصعب حصر تلك الآراء بدقة ، رغم الاجتهاد في استقراءها والتوقف بالدراسة والتحليل عند أهم منعرجاتها التاريخية والفكرية ، وأهم الأعلام من مفكرين ورجال دين، الذين تعرضوا لأزمة الدين المسيحي بالتحليل والنقاش .

الأزمة المسيحية ، بدأت من الأيام الأولى لها نظرا لتضارب تعاليمها وقوانين روما لأن هذه الأخيرة بنت وصدّ رت حضارتها ولم تصتغ فكرة الإنصياع إلى "الخارجين عن القانون"حسب ما يدّعون ، نتج عن ذلك أزمة إجتماعية في العالم الغربي القديم الذي تبنى مبادئ الحضارة ، وبالنظر إلى ما قيل ويقال عن فكر وفلسفة وحضارة ذلك العصر ومختلف الانتقادات الموجهة إليه ، فقد شهدتصراع حضار ي برز جليا في الأيقونة الأولى للعقيدة المسيحية و التي تكشف عن حيرة الباحث الغربي وافتقاره للاستقرار النفسي، والذي جرب مختلف المذاهب والإيديولوجيات ، إلا أنه وجد نفسه في متاهات زادت من حيرته، بالنظر إلى كل هذه التداعيات، فإن أكبر مسؤولية عن هذا الوضع تتحملها دعا إلى تشظية العقيدة بحجة قانون المجامع بالدرجة الأولى و رجال الدين المسيحين بالدرجة الثانية، لأن الدين المسيحي الذي طبع الخلفية الفكرية الأوربية في العصور الوسطى هو المسؤول عن الشرخ والانحراف الذي حدث بعد النهضة، رغم إبعاده وإقصائه عن الأطر الفكرية النهضوية والحديثة ، شرخ في البنية الفكرية للعالم الأوروبي،تماما كالذي حدث في العقيدة المسيحية التي عانت جدل

الثنائيات والانشقاق بين المادة والروح، واللاهوت والناسوت والتوحيد والتثليث والخطيئة والخلاص وكل هذه المعاني اللاهوتية الغامضة، المثقلة بالمفارقات وبعبء الطقوس وثقل الأسرار تحولت إلى عوائق حقيقية داخل بنية العقيدة المسيحية .

ولما أدرك الفكر الغربي أن أزمته تكمن في دينه بدأ بكشف جذور هذه الأزمة وعناصرها، اتجه لما يعرف بـ "نقد الكتاب المقدس " ودراسة الدين دراسة علمية موضوعية وفق مناهج حديثه، هذا التقديم يوضح جزئيا إشكالية البحث والتي حاولت أن اختزلها في عنوان الرسالة .

لقد تعرضت الديانة المسيحية ومازالت تتعرض إلى عملية نقد صارمة، نقد مباشر وهو الذي سلط على **"النص المقدس"** أي على العهدين القديم والجديد، لكشف حقيقة هذا الكتاب، وهل يعبر فعلا عن كلمة الرّب أي هو وحي إلهي أم أن الأيدي البشرية تلاعبت به وحرفته أم أنه إنتاج بشري خالص كما رأى البعض .

إلى جانب هذا النقد المباشر بأنواعه المختلفة، يوجد نوع آخر غير مباشر تأتّى بفضل ما كشفته الدراسات التاريخية واللاهوتية من حقائق تعارضت مع ما ورد في الكتاب المقدس من حقائق علمية ، هذا ضاعف من حدة الأزمة الدينية ، لأنه سبب إشكالات حرجة جدا لرجال الدين والمؤمنين المسيحيين عامة، باعتبار عدم جواز الخطأ في كلمة الرب .

هذا ما حاولنا إبرازه من خلال التعرض للعقبات التي واجهتها الديانة المسيحية والآثار التي ترتبت عنها قديما وحديثا والذي شكل فضولا معرفيا لدينا .

والحمد لله الذي تتــم بنعمـــه الـصالحـــات

المصادر والمراجع

- ***قائمة المصادر :***

العهد الجديد ، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط ، الإصدار الثالث ، 2009 م .

- ***قائمة المراجع :***

1) إبراهيم مصطفى إبراهيم :الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم، دار الوفاء مصر، 2000م .

2) أبو اليسر فرح ، الشرق الأدنى في العصرين الهلنستي والروماني ، عير للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، مصر ، 2005 م .

3) ايبرهارد آرنولد ، المسيحيون الأوائل ، تر محمد شلبي ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، دمشق – سوريا .

4) باور فرانكلين، الفكر الأوربي الحديث–الاتصال والتغير في الأفكار، تر أحمد حمدي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب،ج1 ،1987 .

5) برتراند رسل،تاريخ الفلسفة الغربية ، تر زكي نجيب محمود ، مكتبة الأنجلو مصرية – القاهرة ،1956 م .

6) برجر بيتر ، الدين في الضمير الحديث، ترجمة عبد المجيد الشرفي وآخرون نشر الجامعة التونسية ، ط 1 .

7) توينبي أرلوند،تاريخ البشرية ، ترجمة نيقولا زيادة ، ج 1 ، مكتبة الأهلية للنشر والتوزيع ، بيروت 1958م .

8) ج. ويتلر ، الهرطقة في المسيحية ، تر جمال سالم ، دار الفرابي–بيروت لبنان ، 2007م .

9) جرجس الخضري ،تاريخ الفكر المسيحي ، دار الثقافة للإنتاج والتوزيع ، 2003م .

10) جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج2 ، دار الكتاب اللبناني، 1982 م .

11) حنفي حسن، قضايا معاصرة في الفكر الغربي المعاصر،دار الفكر العربي،القاهرة، ج2 ، ج3، 1988م .

12) خليل حنا تادرس، الأساطير الإنجيلية ، دار كتابنا للنشر والتوزيع ط 1 ، 2012 م ، ص 232 .

13) ديفير هـ ، أوربا في العصور الوسطى ، تر عبد الحميد حمدي محمود ، دار المعارف، ط1 ، القاهرة .

14) راسل برتراند، تاريخ الفلسفة الغربية، تر زكي نجيب محمود، مراجعة أحمد أمين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط2 ، ج1، 1968 م.

15) سبنسر ليود وأندريجيكرور،عصر التنوير،تر إمام عبد الفتاح المجلس الأعلى للثقافة،مصر، ط1،2005م.

16) سعيد عبد الفتاح عاشور ، النهضات الأوروبية في العصور الوسطى وبداية الحديثة،القاهرة 1956 م .

17) سعيد عبد الفتاح عاشور، أوربا العصور الوسطى ، مكتبة الأنجلو مصرية ، ج 1،ط 5 ، 1972م.

18) سيد القمني ، أوزيريس وعقيدة الخلود في مصر القديمة ،ط 2، المركز المصري لبحوث الحضارة،1999م .

19) سيف الدين الكاتب ، أطلس التاريخ القديم ، دار الشرق العربي ، ط 5 ، 1429 هـ - 2008 م .

20) شارل جنيبير ، المسيحية نشأتها وتطورها ، ترجمة عبد الحليم محمود ، ج1، المكتبة العصرية ،بيروت لبنان.

21) عبد الباز العريني ، تاريخ أوربا في العصور الوسطى ، دار النهضة العربية ، ط 1 .

22) عبد الفتاح حسين الزيات ، ماذا تعرف عن المسيحية ، مركز الراية للنشر والإعلام ،ج 1.

23) عبد المسيح اسطفانوس ، المسيحية والمسيحيون ، دار الخير للنشر والتوزيع ، ط1 ، ج1 .

24) غاريمال بيار وآخرون، موسوعة تاريخ أوروبا العام، ترانطوان الهاشم، منشورات عويدات،بيروت،1998م.

25) غردية لويس،فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية،ترصبحي الصالح، دار العلم للملايين، ج 1 1978م .

26) فاضل سليمان ، أقباط مسلمون قبل محمد ، ط 1، دار النور للإنتاج والتوزيع .

27) فراس السواح ، آرام دمشق وإسرائيل في التاريخ والتاريخ التوراتي ، دار علاء الدين ، ط1 ، 1995 م .

28) فراس السواح ، لغز عشتار (أصل الدين والأسطورة) ، دار علاء الدين ، ط 1 ، 1993م .

29) فريمان ريتشارد إليوت ، من كتب التوراة ، ترجمة عمر زكريا ، دار البيان للنشر والتوزيع،القاهرة .

30) فـــولتير، الرسائل الفلسفية، تر عادل زعيتر، دار المعارف،1959 م .

31) كمال الصليبي ، البحث عن يسوع ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، ط 1 ، 1999 م .

32) كيرلس الأنطوني ، عصر المجامع ، مكتبة المحبة ، ط1 .

33) روز نتال دي بودين ، الموسوعة الفلسفية، تر سمير كرم ، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت،1981 م.

34) مانيتون السمنودي ، الجبتانا ، تحقيق علي الألفي ، روافد للنشر والتوزيع، 2011 م .

35) متولي يوسف شلبي، أضواء على المسيحية ، الدار الكويتية للنشر والطباعة والتوزيع .

36) محمد فاروق الزين ، المسيحية والإسلام و الإستشراق ، ط 3 ، دار الفكر المعاصر ، 2003 م .

37) محمود سعيد عمران ، معالم تاريخ أوربا في العصور الوسطى ، دار النهضة العربية ، ط 2 .

38) موانى عثمان،منهج النقد التاريخي الإسلامي والمنهج الأوروبي ، مؤسسة الثقافة العربية، مصر،1976 .

39) نعيمة إدريس ، أزمة المسيحية بين النقد التاريخي والتطور العلمي ، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه،2008م.

40) نور الدين حاطوم ، تاريخ العصر الوسط في أوربة ، دار الفكر الحديث ، ج1، ط1 .

41) نورمان كانتور ، التاريخ الوسط (قصة حضارة البداية والنهاية)، تر: قاسم عبده قاسم ، ج 1 ، ط 5 . 1997

42) هـ فشر ، تاريخ أوربا في العصور الوسطى ، ترجمة محمد مصطفى زيادة،دار المعارف للنشر والتوزيع،ط 5 .

43) يوسوبياس ، تاريخ الكنيسة ، ترجمة مرقس داود ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، القاهرة–مصر.

المراجع الأجنبية :

44) *Albin Michel , Moyen Age (Histoire Et Societe) ,paris , 1997 .*

45) *Canaan Geargie , Christian fundamentalism , in The Western Hemisphere ,biesan press , beirut Lebanon .*

46) *Deanesly , AHistoire Of the early Medieval Europe , London, 1935*

47) *Dedieu Jean Pierre : L'inquisition, imprimerie Brodad et taupin .*

48) *Fereke ,Timothy – Gandy , peter , The Jesus Mysteries , harmony , books , 1997 .*

49) *Graf Alain : Les grands courants de la philosophie moderne, seuil 1996 .*

50) *Mordillat Gérard et Prieur Jérome : Jésus après Jésus, l'origine du christianisme, - seuil, France, 2004 .*

51) *Samuel, V.C., The Council of Chalcedon Re-Examined , Senate of Serampore College, Madras, India, 1977 .*

52) *Strauss Leo : La critique de la religion chez Spinoza on les fondements Spinozistes de -la bible, recherche pour une vue étude du « traité- theologico- politique ».*

53) *Vergely Bertrand : Les philosophies du moyens âges et de renaissance, les -essentielles, Milan, 1998 .*

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

العنـــــوان	الصفحة
المقدمة.....	أ– هـ
الفصل التمهيدي : نشأة المسيحية وانتشارها.....	06
البدايات الأولى للمسيحية.....	07
انتشار المسيحية.....	08
اعتراف الإمبراطورية الرومانية بالمسيحية.....	13
الصعاب التي واجهتها المسيحية.....	17
موقف الوثنية من المسيحية.....	20
انتصار المسيحية وزيادة نفوذها.....	23
نشأة البـــــابوية	27
الفصل الأول عـــصر المـــجامع الـــــدينية.....	31
مفهوم المجامع الدينية.	32
مجـــمع نـــيقية	34
مجمع القسطنطينية	40
مجـــمع أفـــسس	44
مجمع أفسس الثاني	48
مجمع خلقيدونيا.....	50
الفصل الثاني : التأثيرات الخارجية على العقيدة المسيحية.....	53
إشكـــالـــية المصـطلـــح.....	54
المسيحية والثقافة الهلنستية.....	59
شخصية المسيح حسب الفكر الهلنستي.....	62
تناقضات العقيدة المسيحية.....	65
من المسيحية الشرقية إلى المسيحية الغربية.....	73
الفصـــل الثالث : طـــوائف المسيحية وفرقها	76

الفـــرق الـــمسيحيـــة.....	77
الحركات التوحيدية المسيحية.....	94
الأصولية المسيحية في الغرب.....	99
الخاتمة	103
قائمة المصادر والمراجع.....	106
فهرس الموضوعات.....	112